الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

التخصص: دراسات لغوية

بلاغة الإيجاز والإطناب في القرآن الكريم
"سورة هود أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبين :

01- حسان يحياوي

02- رابح حساني

إشراف:

أ.عبد القادر تواتي

لجنة المناقشة:

	الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
1-	عمر بورنان	أستاذ	جامعة البويرة	رئيسا
2-	عبدالقادر تواتي	**أستاذ**	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3-	رابح العربي	**أستاذ**	جامعة البويرة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014م

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى من قال في حقهم الله تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ الإسراء: ٢٣. إليك يا منبع الحب والحنان وصاحبة العاطفة الصادقة والقلب الصافي الطاهر النقي ويا نور الحياة وضيائها ويا أيتها الكنز الغالي **إليك أمي الحنون** وإلى رمز البطولة والشهامة والرجولة العالية والشجاعة الكبرى **إليك أبي العزيز الغالي**، وإلى جميع إخوتي وأخواتي وبالأخص إلى أخي الصغير **عبد الرحمان**، وإلى جميع الأصدقاء الذين عرفتهم دون استثناء ونذكر منهم عبد الرحمان، عيسى، حميد، وليد، محمد، بلال أمين، حليم، رضوان، عبد الغاني، رابح، ياسين.

حسان

الإهداء

أهدي هذا العمل:

إليك أمي.....

إليك أبي.....

إليكم إخوتي وأخواتي.....

إليكم أصدقائي وأحبائي.....

رابح

شكر وتقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم7

فالشكر لله من قبل ومن بعد أن يسر لنا هذا العمل المتواضع وأنار بصيرتنا للاجتهاد والإطلاع .

ونشكر ذا الفضل الكبير علينا و المنير لطريقنا وموجهنا أستاذنا الفاضل **عبد القادر تواتي** الذي مد لنا يد العون والمساعدة طيلة العام الدراسي ولقد شرفنا أحق التشريف أن نكون ممن يرأسهم على هذا العمل

ولا ننسى أن نشكر كل الأساتذة الذين تعرفنا بهم في مسارنا الجامعي

وفي الأخير نسأل الله عز وجل على أن يقدرنا على رد الجميل وفعل ما هو صالح لبلدنا وأمتنا ونتمنى أن ننفع بعملنا هذا كل من استعان به.

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان وأطلق لفصاحته العنان والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد نبي الرحمة معلم الناس الهدى والتقى وخير من خطب في الناس وخاطبهم، وعلى آله وصحبه الأبرار وعلى من اتبع هديه وستن بسنته وسار على دربه إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

إنّ اللغة العربية _زادها الله شرفا_ لغة مقدسة بقداسة كتاب الله تعالى والسنة النبوية، وإنّ البلاغة بمعناها العام هي حسن الكلام وقوة التأثير وتعني أيضا الوصول على المعنى بكلام بليغ وفصيح ويجب أن يكون ذلك الكلام مطابقا لمقتضى الحال، وبما أنّ موضوعنا متعلق بالقرآن الكريم ينبغي الإشارة إلى أن بلاغته وفصاحته أعجزت كل البلغاء والفصحاء الذين وقفوا وقفة إجلال وتعظيم لهذا الإعجاز الباهر، ذلك أن القرآن الكريم في مجال اللفظ والمعنى له كيفية يمتاز بها عن غيره من الكلام وهو الأمر الذي لمسه العرب المعاصرون لرسالة فقد تحدّى الله عز وجل أرباب البيان أقوى تحدي فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا مجابهة هذا التحدي، ومن الآيات الدالة على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: 23 -24. وكما تحدى الله عز وجل الثقلين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: 88. وإن الأساليب البلاغية بمختلف أنواعها، تعد سمة

من سيمات هذا الإعجاز الرباني فبالبلاغة نعرف وجه من وجوه إعجازه وندرك ما فيه من خصائص البيان ونفهم براعة أسلوبه، وانسجام تأليفه وسهولة نظمه، وعذوبته وجزالته ولعل من أبرز الظواهر التي تضمنها النظم القرآني ظاهرتي الإيجاز والإطناب، إذ أنّ هناك الكثير من البلاغيين من يعتبرهما اللغة نفسها ناهيك عن الجانب الإبداعي الذي يتوفر بفضلهما، وهذا ما قد لمسناه من خلال بحثنا الذي عنوناه؛ ببلاغة الإيجاز والإطناب في القرآن الكريم سورة هود أنموذجا.

أهمية الموضوع: تُستمدُّ أهمية موضوعنا هذا من أهمية العناية بكتاب الله عز وجل ومن أنّ هذه الدراسة تحاول الكشف عن ظاهرتين بلاغيتين، تستدعيان الكثير من الاهتمام والدراسة، وهما الإيجاز والإطناب حيث أن هاتين الأخيرتين تجليّان جانبا من جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وتكشفان عن الجمال الأسلوبي في اللغة العربية.

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

ـ رغبة الباحثين في خدمة كلام الله عز وجل ولو بالشيء اليسير.

_ إثبات ما تفرد به النص القرآني، من حسن توظيف لظاهرتي الإيجاز والإطناب خاصة في سورة هود عليه السلام.

_ إبراز سيمات الإيجاز وبيان قوته وتمكنه في النظم القرآني وتوضيح اللبس القائم على عدم ورود الإطناب في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة: لعل الدراسات التي تناولت البلاغة القرآنية كثيرة، لكن الدراسات التي اعتنت بظاهرتي الإيجاز والإطناب قليلة جدا، وخاصة ما تعلق منها بسورة هود عليه السلام، ولقد استأنسنا في بحثنا هذا بدراستين هما:

_ رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بعنوان الإطناب في قصص القرآن الكريم، لصاحبتها عائشة أحمد عرسان جرار، دراسة تناولت فيها مظاهر الإطناب وتجلياته في القصص القرآني، حيث حاولت الباحثة الكشف عن ظاهرة الإطناب في هذه القصص والحكمة التي تنطوي عليها.

_ والدراسة الثانية : هو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان الإيجاز والإطناب في النصف الأول من القرآن الكريم لصاحبتها هند عبد الفتاح عبد التام إسماعيل دراسة تناولت فيها الباحثة ظاهرتي الإيجاز والإطناب في الثلث الأول من القرآن الكريم مبرزتا أهم ما كان في الموروث البلاغي القديم.

والمطلع على هاتين الدراستين يلاحظ أنهما لم يتأت لهما جعل الدراسة في سورة واحدة من القرآن الكريم، ولم نلمس من خلال هاتين الدراستين ذلك البعد الجمالي لظاهرتين، (الإيجاز والإطناب) وهذا ما قد تميز به بحثنا عن البحثين السابقين حيث جمعنا فيه الظاهرتين وبيّنا من خلاله البعد الجمالي لهما .

إشكالية البحث: لقد اهتم الكثير من الدارسين بظاهرتي الإيجاز والإطناب، وحددوا لهما أبعادا بلاغية، ونحن في بحثنا هذا أردنا أن نبرز أثرهما في القرآن الكريم، ودورهما في جعل هذا النظم معجزا من خلال استخراج أسرارهما البلاغية وبيان كيفية تأتيهما، والمواضع التي يبرزان فيها بالإضافة إلى محاولة إظهار جمالية هذا الأسلوب، وذلك من خلال تحديد مدونة وهي إحدى السور المكية وهي سورة هود عليه السلام.

الفرضيات: قبل الخوض في البحث عقدت لدينا بعض التصورات والفرضيات الأولية حول النتائج المتوقعة من موضوع بحثنا:

_ للإيجاز والإطناب بلاغة تساهم في جعل النص القرآني نصا معجزا.

_ تمكن الإيجاز ووجوده بكثرة في النظم القرآني.

_ غزارة أسلوب الإطناب في سورة هود لاشتمالها على بعض قصص الأنبياء والأمم السابقة.

منهج البحث: تبعا لطبيعة البحث إرتأنا أن يتبعا منهجا وصفيا تحليليا، ذلك لمناسبة موضوع الدراسة الذي يحاول وصف ظاهرتي الإيجاز والإطناب واستنباط أسرارهما وكذلك لخدمة الأهداف المرجوة من البحث.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وهي على النحو الآتي:

مقدمة : وتم الحديث فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره والأهداف المرجوة منه، وإشكالية البحث والفرضيات وأيضا المنهج والخطة المتبعة في البحث، إلى جانب الصعوبات التي واجهة الباحثين.

تمهيد: ذكرنا فيه أسباب اختيار سورة هود مدونة دراسة وقد عرفنا فيه السورة مع أسباب نزولها وأهم ما تضمنته من قصص وأخبار عن الأمم السابقة.

الفصل الأول: كان تحت عنوان؛ بلاغة الإيجاز في سورة هود عليه السلام، وضمناه ثلاث مباحث

المبحث الأول : بعنوان؛ تعريف الإيجاز لغة واصطلاحا، وعرجنا فيه على أهم التعريفات التي تناولته من حيث المعجم ومن حيث الاصطلاح، وقد جعلنا فيه أهم أقوال البلاغيين قدماؤهم ومحدثيهم.

المبحث الثاني : الأغراض البلاغية للإيجاز وموقعه في علم المعاني، وجعلنا فيه أهم الأغراض التي يحويها الإيجاز وموقعه في علم المعاني مبرزين أهم الأقوال التي تناولته.

المبحث الثالث : أساليب الإيجار وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام، هذا المبحث يعتبر الجانب التطبيقي لدراسة في هذا الفصل المتعلق بالإيجاز فقد تناولنا فيه أهم مواضع الإيجاز في السورة وقسمناه قسمين: قسم يتعلق بإيجاز الحذف وقسم يتعلق بإيجاز القصر.

الفصل الثاني : بلاغة الإطناب في سورة هود عليه السلام، ولقد ضمناه ثلاثة: مباحث مبحثين نظريين ومبحث تطبيقي.

المبحث الأول : تعريف الإطناب وأقسامه، عرفنا فيه الإطناب من حيث المعجم ومن حيث الاصطلاح، وأضفنا إليه أقسامه التي تعلقت به وهي الأقسام التي أشار إليها ابن الأثير.

المبحث الثاني : مواضع الإطناب ومكانته البلاغية، وتحدثنا فيه بشكل مجمل عن جماليات هذا الأسلوب وفوائده في الدرس البلاغي وأهم آراء البلاغيين فيه.

المبحث الثالث : أغراض الإطناب وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام، وهو الجانب التطبيقي في هذا الفصل فقد ذكرنا فيه أهم أغراض الإطناب في السورة، مع ذكر سر وروده في كل موضع وما يحويه من دلالة.

خاتمة : عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة من موضوع الإيجاز والإطناب.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث: لقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الكتب تباينت بين ما قد صنف قديما وما هو حديث ومن أهم هذه المصنفات التي رجعت إليها نذكر:

البيان والتبيين، والحيوان للجاحظ، (دلائل الإعجاز) للجرجاني، (الصناعتين) لأبي هلال العسكري، (مفتاح العلوم) لسكاكي، (البرهان في علوم القرآن) لزركشي، و(المثل السائر) لابن الأثير ومن المحدثين(اللغة العربية فنونها وأفنانها) فضل حسن عباس، وقد اعتمدت دراستنا على

جملة من كتب التفاسير منها (التحرير والتنوير) لطاهر بن عاشور، (الكشاف) لزمخشري، (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، هذه وغيرها من المراجع التي أضاءت لنا السبيل ورسمت لنا الطريق لإتمام عملنا هذا

الصعوبات التي واجهت البحث: لا يمكن لأي باحث أن ينجز بحثا دون أن تحيط به مجموعة من العقبات، ومن تلك الصعوبات التي واجهتنا: ضيق الوقت الذي لم يتح لنا التبحر بشكل اللازم في خبايا الموضوع، والإحاطة بجميع جوانبه، إضافة إلى تشعب الموضوع وتناثره بين كتب القدماء والمحدثين، ووجود بعض الاختلافات بين الدارسين في كيفية تناول الموضوع، وكذا ندرة الدراسات المتعلقة بالجانب البلاغي في سورة هود عليه السلام.

لكن بمشيئة الله قد تذللت هذه الصعوبات، ولا ننسى هنا أن نشيد بفضل أستاذنا القدير عبد القادر تواتي الذي كانت له اليد الطولى في وضع هذا البحث في السكة الصحيحة له، ولا ننسى أن نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في سبيل أن ينجزَّ هذا البحث، وفي الأخير فهذا الجهد المتواضع نقدمه لكم وكلنا أمل أن يحظى بالقبول فإن وفقنا فيه فهو بتوفيق الله _ عز وجل_ ومنته، وإن قصرنا فسمة البشر النقص، وما من إنسان يبلغ الكمال وإن سعى نحوه سعيا حثيثا وسار في سيره سيرا جادا.

والله ولي التوفيق، ومنه نستمد العون، فهو ولي ذلك ومولاه.

تمهید

تمهيد:

سنتطرق في هذا التمهيد إلى التعريف بإحدى سور القرآن الكريم العظيمة مع بيان ما تضمنته من أخبار وأحداث، لكن وجب علينا أولا أن نشير إلى أسباب اختيارنا لهذه السورة دون غيرها من السور، وهذه الأسباب هي:

أ_ تزينت سورة هود عليه السلام بفنون البلاغية المختلفة، ولكن الذي اختصت به هذه السورة غزارة هذه الفنون البلاغية فيها.

ب_ عدم وجود الدراسات التي اعتنت بهذه السورة وخاصة، في جانب الإيجاز والإطناب.

ج _ تميزت هذه السورة بذكر بعض من قصص الأمم السابقة وهذا ما يخدم موضوع الإطناب في هذه الدراسة ذلك إذا علمنا أن أكثر مواضع الإطناب هي في القصص القرآني.

1_التعريف بالسورة : سورة هود سورة مكية عدد آياتها مئة وثلاث وعشرون آية وقال ابن عطية : «هي مكية إلا قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ هود: 12. وقولهتَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هود: 17. ونزلت في ابن سلّام وأصحابه، وقولهتَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ هود: 114. نزلت في شأن الثمار، وهذه الثلاثة مدنية قال مقاتل على أن الأولى تشبه المكي»[1] وهي من السور التي لها اسم واحد وهو الاسم الذي عرفت به وقال ابن عاشور أنها سميت بهذا الاسم « لتكرر اسم هود عليه السلام فيها خمس مرات ولأنَّ ما حكي عنه فيها

1_ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، لبنان: 2001م، دار الكتب العلمية، ج4، ص148.

أطول مما حكي عنه في غيرها ولأنّ عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ هود: 60. وقد قيل لتمييزِّها من بين السور ذوات الافتتاح (ألر) »[1] وقد نزلت هذه السورة بعد سورة يونس عليه السلام وقبل سورة يوسف عليه السلام، وعدت الثانية والخمسون في ترتيب النزول وقد جاء في فضلها « عن ابن العباس رضي الله عنهما قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله، قد شبت؟ قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشَّمس كورت »[2] كل ذلك يدل على « عظم وخطر ما اشتملت عليه وأشارت إليه وهو الذي كان سببا لإسراع الشيب إليه ﷺ »[3]

2_ مضمون السورة ومقاصدها : اشتملت سورة هود عليه السلام على معان مقاصد عامة تتدرج تحتها معان جزئية تدخل في صميم نسيج هذه المعاني والمقاصد العامة وتتكون منها لبنائها، ويتوثق بها ارتباطها، ومن بين هذه المعاني : الابتداء بالإيماء إلى التحدي لمعارضة القرآن بما تومئ به الحروف المقطعة في السورة [4] فقد ذهب جمهور من المفسرين إلى أن ورود الحروف المقطعة في أول السور هي دالة على تحدي الله _ عز وجل_ للعرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي هو ينطق بحروفهم ويتحدث بلغتهم وبأن الرسول ﷺ نذير للمشركين بعذاب يوم عظيم وبشير للمؤمنين [5] ثم تحدثت السورة بالحجج العقلية عن عناصر الدعوة الإسلامية مع الموازنة بين

1 _ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (د ط)، تونس: 1984، السداد التونسية، ج11، ص 311.

2_ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة ط2، المملكة العربية السعودية: 1998، دار طيبة لنشر والتوزيع، ج4، ص 303.

3_ الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (د ط)، لبنان: (د ت)، دار إحياء التراث العربي،ج12، ص3.

4_ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص312.

5_ نفسه، ج12، ص 312.

الفريقين، فريق أهل الهدى وفريق أهل الزيغ والبهتان، وضربت مثلا للفريقين بينت به الفرق بين أهل النار والظالمين وأهل الصلاح من المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ هود: 24. ثم إثبات الحشر، والإعلام بأن الله مطلع على خفيا الناس، وأنّ الله مدبر أمور كل حي على الأرض، وخلق العوالم بعد أنّ لم تكن، وأنّ مرجع الناس إليه وأنّه ما خلقهم إلا للجزاء[1] ثم تحدثت السورة على جملة من الرسل السابقين تسلية لرسول ﷺ وإنذارا للمكذبين، وبيانا لوحدة الدعوة الإلهية فبدأت بقصة نوح عليه السلام، وقد إنفردت هذه السورة بتفصيل حادثة الطوفان وغيضه، ثم ذكرت قصة هود عليه السلام، الذي سميت هذه السورة الكريمة باسمه تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، ثم تلتها قصة النبي صالح عليه السلام، ثم قصة لوط، وشعيب عليهما السلام، ثم ذكر النبييّ الله موسى وهارون عليهما السلام، ثم جاء التعقيب مباشرة بما في هذه القصص من عظات في إهلاك الله تعالى لظالمين حيث جاء في ختام هذه السورة قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود:120 . « فما على الرسول وأتباعه إلا إن يستقيم فيما أمره الله، ولا يركنوا إلى المشركين، وأن عليهم بالصلاة والصبر والمضي في الدعوة إلى أن يأتهم الأجل، فإنه لا هلاك مع الصلاح » [2] هذا ما ارتأينا أن نذكره في تعريف بهذه السورة ومضامينها.

1_ الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 313.

2_ نفسه، ج12، ص 313.

الفصل الأول: بلاغة الإيجاز في سورة هود عليه السلام

المبحث الأول : تعريف الإيجاز لغة واصطلاحا

المبحث الثاني:الأغراض البلاغية للإيجاز وموقعه في علم المعاني

المبحث الثالث : أساليب الإيجاز وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام

توطئة

لم ينَّل موضوع من موضوعات علم البلاغة من الاهتمام والدراسة ما ناله موضوع الإيجاز ذلك لما له من علاقة متينة بطبيعة اللغة، وما كان عليه أهلها السابقون من إعجاب باختصار هذا ناهيك عن النظم القرآني وأسلوبه الذي جاء فيه من روائع هذا الفن العجيب، وفي هذا الصَّدد يقول أبو منصور الثعالبي : « من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن ويتأمل علوه على سائر الكلام »[1] فيعد الإيجاز من أبرز مظاهر الإعجاز القرآن الكريم، ذلك أنه يحوِّي المعاني الغزيرة في القليل من اللفظ، وتلك سمة من سيمات القرآن تبدو واضحة من خلال آياته الكريمة، ولا عجب أن نجد أن موضوع الإيجاز كان من أسبق موضوعات علم المعاني التي أشاد بها البلاغيون، " فالجاحظ " (255هـ) قد أشار إليه في أكثر من كتاب من كتبه ومن بعده "ابن قتيبة " (276هـ) في أكثر من كتاب و" الرماني "(386هـ) و" الباقلاني"، كما اطلق عليه " بن قدامة" (337هـ) اسم الإشارة، وجاء ابن الأثير بعده فخصَّه بجمل مفيدة وذكر له شواهد من كلام الله وكلام الناس.

1 – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، تح : محمد النونجي، ط1(د ب): 1992م، دار النفائس، ص 15.

المبحث الأول : تعريف الايجاز لغة واصطلاحا

أولا: تعريف الايجاز لغة :لقد تناولت معاجم اللغة مادة الإيجاز بكثير من الاسهاب وتنوعت معاني هذا اللفظ حسب كل معجم منها؛ ما جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحت لفظ "وجز"، وجَزَ: أوجزت في الأمر اختصرت الوَجزُ الوحاء، تقول أوجَّزَ فلان إيجازا في الأمر وقد أوجَزَ الكلامَ والعطَّيةَ، وأمرٌ وجِيزٌ : مختصرٌ وكلام وجِيز.[1] وفي لسان العرب لابن منظور:

وَجَزَ: وَجَزَ الكلام وَجَازه ووُجُوزًا،أَوْجَزَ: قلَّ في البلاغة، أَوْجزَهُ: اختصرهُ، كلامٌ وَجِيزٌ: خفيف، وأمر وجِيزٌ، ووَاجِزٌ ووجِيز موجَز، ومُوجِزٌ ومُوجَزٌ ووجَزَ وِجَازةً فهو وجيزٌ أي قصير سريع الوصول الى الفهم، ويتعدى بالحركة فيقال وجِزتُهُ، من باب وعد وأَوجَزتُه وبعضهم يقول وجَزَ في كلامه وأوجَزَ فيه أيضا، وأوجَزتُ في الكلام قصرته.وكلام وجِيزٌ أي قصير.[2] وورد في قاموس المحيط للفيروز أبادي تحت لفظ "وجز" قوله : الوجْزُ : السريع الحركة وهي بهاء، والسريع العطاء والخفيف من الكلام والأمر، وشيء الوجيز وشيء موجز والوجيزٌ، وقد وَجَزَ في منطِقِهِ كَكَرُمَ ووَعَدَ وَجْزًا ووجَازَةً ووجُوزًا والمَواجِزُ.[3] الوجيز من الرجال:السريع الحركة فيما أخذ فيه، السريع العطاء، والبعير السريع، والعجلة، والخفيف من الكلام، الخفيف من الأمر وهي وَجِزَةٌ.[4] ومن خلال التعريفات التي تم تقديمها يتضح لنا أن لفظ " وجز" له معانٍ من حيث اللغة متعددة وهي لا تخرج عن السرعة

1- أبو عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح:عبد الحميد الهنداوي، ط1، لبنان: 2003م، دار الكتب العلمية، مادة (وجز).

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، (د ط)، لبنان: (د ت) دار صادر، مادة (وجز).

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي قاموس المحيط، (د ط)، مصر: 2008م، دار الحديث، مادة (وجز).

4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط2، ايران: (د ت)، انتشارات ناصر نسروا، مادة (وجز).

والاختصار والقلة والخفة في الكلام ولكن أغلب اللغويين يحصرون استعمال هذا اللفظ لدلالة على القلة في الكلام وقصره.

ثانيا: تعريف الإيجاز اصطلاحا: يعتبر الإيجاز من أهم مباحث علم المعاني، وقد خاض فيه الكثير من البلاغيين وأعطوه عدة تعريفات اصطلاحية منها، ماذكره سيبويه (180هـ) في "الكتاب" حيث يقول:« فمن ذلك أن نقول على القول السائر، كم صيد عليه، فيقول : صيد عليه يومان، إنّما المعنى صيد عليه الوحشي في يومين ولكنّه اتسع واختصر، ومثل ذلك من كلامهم بنو فلان يطؤهم الطريق ويريد يطؤهم أهل الطريق» [1] يتبّين أن سيبويه ذكر معنى الإيجاز والمتمثل في الاتساع والاختصار ولم يعرِّف هذا المصطلح ولكنّه أشار إلى المنحنى التعبيري الذي يقوم على الاتساع في المعاني المراد التعبير عنها، مع الاختصار في الألفاظ المعبر بها، وذكر الجاحظ قوله: « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه»[2] ولقد عرف الإيجاز في قوله : « الإيجاز ليس يعني قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام ما أتى عليه ما يسع بطن طومار فقد أوجز، وكذلك الإطالة إنما ينبغي له الحذف بقدر مالا يكون سببا لإغلاقه ولا يردّد، وهو يكتفي بإفهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو خطل»[3] لقد استحسن الجاحظ الكلام القليل، لكن هذه القلة لم يقصد بها قلة الحروف أو الكلمات في حدِّ ذاتها إنما يقاس الإيجاز بإفهام السامع، وما زاد عن ذلك فهو إفساد للمعنى ويقول الرماني(386هـ) في تعريفه الإيجاز :

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح :عبد السلام هارون، ط1، مصر: 1988م، مكتبة الخانجي ص211.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح :عبد السلام هارون، ط7، مصر: 1998م مكتبة الخانجي، ج1، ص83.

3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، مصر: 1966م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ج1، ص 91.

«إنه تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، وتصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، وأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى فالألفاظ القليلة إيجاز »[1] وقال أيضا : « هو إظهار النكتة في الفهم لشرح الجملة والاختصار بأقل ما يمكن من العبارة، وسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد واعتماد العرض دونما التشَّعب، وإظهار الفائدة عما يستحسن دونما يستقبح »[2] فيرمي بهذا الرماني إلى أنّ الإيجاز ضرب من التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ القليلة مع عدم الاخلال بالمعنى أو الخروج عن الهدف المراد، وبهذا وجب على العبارة الموجزة اختصار المعنى، وإظهار الفائدة في فحوى الكلام وإظهار البراعة، واستخدام اللفظ الوجيز الذي يؤدي إلى المعنى الحسن الجميل، ولقد جعل بن سينان الخفاجي (466هـ) شروطا للفصاحة، وجعل اختصار الألفاظ من أهم شروطها وأساسا للبلاغة الجيدة، حيث يقول:«من شروط الفصاحة والبلاغة، الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يُعبَّرَ عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وهذا الباب من أشهر دلائل فصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس»[3] وحذف الفضول الذي يشير إليه ابن سينان في هذا القول سبق أنّ ذكره الجاحظ في قوله: « إنما ينبغي له أن يحذف يقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه »[4] وذكر عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز الإيجاز فقال:« إن العاقل إذا نظر علِمَ علْمَ الضرورة، أنّ لا سبيل له إلى أنّ يكثر معاني الألفاظ أو يقللها، لأنّ المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغير على الجملة عمّا أراده واضع اللغة، وإذا ثبت ذلك لا معنى لقولنا(كثرة المعنى قلة اللفظ) عن

1- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف زغلول، ط2، مصر: (د ت) دار المعارف، ص80.

2- علي بن عيسى الرماني، النكت غي إعجاز القرآن، ص 81- 82.

3- محمد عبد الله بن سعيد بن سينان الخفاجي، سر الفصاحة، ط1، لبنان: 1982م، دار الكتب العلمية ص307.

4- الجاحظ، الحيوان، ج1، ص91.

أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج لفظ كثير»[1] ويظهر من هذا أنّنا نصل إلى معانٍ كثيرة وفوائد عديدة تأتي مما ترمز إليه الكلمات من إيحاءات ودلالات جانبية وبذلك تصدر المعاني الكثيرة من الألفاظ قليلة، وأورد السكاكي (636هـ) قوله في الإيجاز:« هو أداء المقصود من الكلام بأقل من العبارات متعارف الأوساط »[2] والجديد في هذا التعريف هو اتخاذ متعارف عليه بين أوساط الناس مقياسا للإيجاز، لأنه اعتبره شيئا نسبيا يتحدّد بما هو متعارف بين أوساط الناس، أما ابن الأثير فقد قال إنّ حده هو :« دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد اللفظ عليه »[3] فقد جعل ابن الأثير الإيجاز هو حسن اختيار الألفاظ الدالة على المعنى المبتغى، دون أنّ تزيد هذه الألفاظ عن المعنى المراد أو أن تكون هذه الألفاظ أقل من المعنى.

يتضح لنا وبشكل جلي أنّ معظم البلاغيين قديمائهم وحديثهم، والذين خاضوا في ميدان الإيجاز قد اتفقوا على أن الإيجاز؛ هو دلالة الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة مع عدم إخلال قلة اللفظ بالمعنى المقصود وأنّ تكون دلالة اللفظ بيِّنةً واضحة، وهذا التعريف الاصطلاحي قد شابَهَ التعريف اللغوي من حيث أنّ الدلالة اللغوية للإيجاز هي الاختصار، والقلة، والسرعة، والخفة في الكلام.

1- أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط5 مصر: 2004م، مكتبة الخانجي، ص464.

2- أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح :عبد الحميد الهنداوي، ط1، لبنان: 2000م دار الكتب العلمية، ص387.

3- أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (د ط)، مصر: (د ت)، دار نهضة مصر، ج2، ص259.

المبحث الثاني: الأغراض البلاغية الإيجاز وموقعه في علم المعاني:

لقد اعتنى الكثير من البلاغيين بأسلوب الإيجاز، وبينوا صوره وأغراضه في الكلام، ومدحوه كثيرا في كتبهم، حيث يقول الخطيب القزويني في بيان مكانة الايجاز والإطناب : «والإيجاز والإطناب هو باب رفيع المنزلة شامخ في الشرف بل هو أنف البلاغة التي تعطس منه ونابها الذي تفتر عنه وقديما تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح »[1] فالإيجاز من الأساليب التي تحتاج إلى فطنة وذكاء وتذوق، وقد جعله بعضهم هو البلاغة، فقد ذكر بعض البلاغيين من المحدثين أن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم القدرة على القراءة والكتابة، ولم تكن لهم من إمكانيات الحفظ إلا ما قد وسعته ذاكرتهم، لذلك اضطروا الى الاختصار في القول لأن الشيء اذا كثر صعب استيعابه فقد نحو إلى أسلوب الإيجاز ليعوا ما يريدون وعيه، ولكي لا تكل ذاكرتهم ولا تمل حافظتهم، ولقد أكرم الله العرب وغيرهم بالإسلام ونزل القرآن الكريم، وفيه من الإيجاز ما لا يوجد في غيره، وفضل النبي ﷺ عن غيره حتى من الأنبياء بأمور منها أنه أعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارا، فكان يُعبر عن المعاني الكثيرة بكلمات قليلة بل أثنى على الذين يتكلمون فيوجزون[2] والمتتبع لما كتبه العلماء عن الإيجاز يجد العبارات الكثيرة التي ترفع من نشأته وتثني على من رزق حظا وافرا منه، ولا عجب أنّ نجد أنّ موضوع الإيجاز كان من أسبق موضوعات علم المعاني التي أشاد بها البلاغيون، فهذا الجاحظ كثيرا ما يذكره في كتبه، ومن بعده ابن قتيبة والرماني والباقلاني، كما يطيل الحديث عنه أبو هلال العسكري في الصناعتين، وكذلك

1- الخطيب جلال الدين القزويني، التخليص في علوم البلاغة، ط2، لبنان: (د ت)، دار الفكر العربي ص209.

2- ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ط2، الأردن: 1997م، دار الفرقان، ص455 - 456.

ابن سينان الخفاجي (سر الفصاحة) ولقد أطلق عليه اسم الإشارة تبعا لقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) [1] ويقول ابن الأثير:« وهذا النوع من الكلام الشريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وضرب في أعلى دراجتها بالقدح المعلى، وذلك لعلو مكانته وتعذر إمكانه، والنظر فيه إنما للمعاني لا للألفاظ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ، بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدار النظر قي هذا النوع إنما يختص بالمعاني، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل »[2] والإيجاز اعتنى به الفصحاء والبلغاء كثيرا، فإنهم كانوا إذا قصدوه أتو بألفاظ استغنوا بواحدها عن الألفاظ الكثيرة، كأدوات الاستفهام، والشرط، وغير ذلك فقولك (أين زيد) مغن عن قولك (أزيد في الدار أم في المسجد)، إلى أن تستقرئ جميع الأماكن فغالب كلام العرب مبني على الإيجاز والاختصار وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة[3] والأصل في المدح الإيجاز والاختصار في الكلام، لأنَّ الألفاظ غير مقصودة في نفسها إنما المقصود المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام، فصار بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي المقصود على السواء في السهولة إلا أن أحدها أخصّ وأقرب من الأخر، فلابد أنّ يكون المحمود منها هو أخصرها وأقربها سلوكا إلى المقصد، فإن تقاربا اللفظان في الإيجاز وكان أحدها أشد إيضاحا للمعنى كان بمنزلة تساوي الطريقين في قرب وزيادة أحدهما بالسهولة[4] ومثل ذلك قول أبي القاسم المطرِّز البغدادي:

وَرَدْتُ وَقَد حَلَّ لِي مَاءُهُ فَلَمَا بَكَّيتُ عليه حَرُمَ

1- فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص454.

2- ابن الأثير، المثل السائر،ج2، ص235.

3- تقي الدين أبو علي الحموي، خزانة الادب وغاية الارب،(د ط)، لبنان: (د ت)، دار القاموس، ص364.

4- ابن سينان الخفاجي، سر الفصاحة، ص214.

وقول المهيار بن مرزويه:

بَكَيتُ على الوَادِ فَحَرَّمْتُ مَاءهُ وكَيَّف يحِلُّ المَاءُ وأكثره دمُ

فبيت المهيار وإن قاربت عدد ألفاظه بيت المطرّز فقد تضمن من الإيضاح المعنى ما لم يتضمنه بيت المطرّز، لأنّ قائلا لو قال: (لِما حرُّمَ الماء لَمَّا بكى عليه؟) لوجب في الحقه تفسير المعنى وإيضاحه أن يقال (لأن دموعه كانت دما، فغلب على هذا الماء ودم حرام) فقد أتى مهيار بهذا التفسير في متن البيت[1] وفي بعض الأساليب كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر تبين أنّ الإيجاز كان من أول الأغراض والأهداف التي يؤديها، ألا ترى إلى قولك : (ما أنا بخلت) إذا أردت أن تعبر عن معناه بغير هذه العبارة فإنّك تجد نفسك مضطرا أن تزيد كثيرا على الألفاظ التي نطقت بها، لأن معنى هذه العبارة كما عرفت التقديم والتأخير، ألا ترى أنك لا تريد نفي البخل عن نفسك فقط، وإنما تريد كذلك أن تثبت البخل لغيرك، فمعنى العبارة إذن (ليست أنا الذي يبخل إن الذي يبخل غيري) وإن أردت أن تعبِّر عن بيت المتنبي :

وَمَا أنَا أسْقَمْتُ جِسْمِي بِه ولا أنا اضْرمتُ في القَلبِ نِارَا[2]

فلا بد أن تأتي بإضعاف هذه الكلمات لإيفاء هذا المعنى حقه وكذلك لو قرأت قَالَ ٱتَعَالَىٰ:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة:5 وقَالَ ٱتَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾ الأنعام:14 وقَالَ ٱتَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨ ﴾ التوبة: 128، تجدك بحاجة إلى ألفاظ كثيرة تقوم مقام

1- فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص479.

2- أبو البقاء العبكري، شرح ديوان المتنبي، ط11، لبنان:1971م، دار المعرفة، ج2 ص95.

التذكير في رسول، وعزيز وحريص، تدل مقام الذي دل عليه القسم، وتقوم مقام التقديم في قوله تعالى:﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ إذ ليس الإيجاز إلا كون المعنى أكثر من اللفظ ولحمد الإيجاز فضل أحدى الشاعرين على صاحبه إذا اشتركا في المعنى، وأوجز أحدهما في اللفظ اكثر من الأخر، ولهذا قدموا قول الشّماخ بن ضِرار:

إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجدٍ تَلَقَاها عُرابةٌ باليَمِينِ

على قول بشر بن أبي خارم:

إذَا مَا المَكْرُومَاتُ رُفِعت يَومًا وقَصُّرَ مُبْتغُوها عن مَدَاهَا

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ المثِّيرينَ عَنّهَا سَمًّا أوسٌ إليها فاحتَواها

وإذا كان ابن أبي خارم سبق الشماخ إلى هذا المعنى إلا أنه جاء به في بيْتَين، واختصره الشماخ فآتى به في بيت واحد[1] وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحي لكتابه: «إذا قدرتم أن تجعلوا كتبكم توفيقات فافعلوا»[2] وقال بعضهم : الزيادة في الحد نقصان، وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز فإن له إفهاما وللإطالة استفهاما [3]وقال آخر: ما البلاغة، فقال الإيجاز، قيل ما الإيجاز قال: حذف الفضول وتقريب البعيد[4] وجاء في جواهر البلاغة : يستحسن الإيجاز في الاستعطاف وشكوى الحال والاعتذارات، والتعزية والعتاب والوعد والتوبيخ، ورسائل طلب الخراج، وجباية الأموال ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة، والأوامر والنواهي الملكية والشكر على النعم[5] وقد

1- ابن سينان الخفاجي، سر الفصاحة، ص216_217.

2- ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، ط1،(د ب): (د ت)، مطبعة محمود بك ص130.

3- نفسه، ص130.

4- نفسه، ص نفسها.

5- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط1، مصر: 1999م، المكتبة المصرية، ص200.

عرفنا الإيجاز وموضعه فلابد أنّ نعرف دواعيه التي استعملتها العرب في الكلامها فمن دواعي الإيجاز نجد:

سهولة الحفظ، فقد قيل لأحدهم هل كانت العرب تطيل؟ قال نعم كانت تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها، وإخفاء الأمر عن غير المخاطب، وضيق المقام خوف فوات الفرصة، ذكاء المخاطب حيث تكفيه اللمعة والوحي والاشارة.[1] ومما تقدم يمكن القول إن الإيجاز قد احتل مكانة عالية في كلام العرب، إذ إنّهم كانوا يميلون في كلامهم إليه، باعتباره البلاغة البينة والفصاحة الكاملة وذلك لما له من جمالية في الأسلوب ورونق في التعبير، ومن تقريب المعاني وسهولة في الحفظ كما يعتبر من أبرز مظاهر إعجاز كلام الله عز وجل وحديث النبي ﷺ.

1- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ط2، لبنان: 1986م، دار الكتب العلمية، ص226.

المبحث الثالث: أساليب الإيجاز وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام

جعل معظم البلاغيين الإيجاز على قسمين إيجاز حذف وإيجاز قصر، وسنبدأ في أول الأمر بإيجاز الحذف، ذلك لما قد أولاه أصحاب البيان من خصيص العناية ولطائف الدراسة ثم نُثَنِي بإيجاز القصر.

أولا : إيجاز الحذف:

1_ الحذف لغة: جاء في لسان العرب تحت مادة حذف: حذف الشيء: يحذِفُهُ حَذْفًا: قطعه من طرفه واللجام يحذف الشعر ويقول الأزهري : تَحْذِيفُ الشعر تطريره وإذا أخذت من نواحيه ما تسوي به فقد حَذَفتهُ.[1] (حَذفَ): الشيء حَذفاً، قطعه من طرفه وأسقطه، وبالعصا ونحوها رماه وضربه بها (الحِذَّافَةُ) ما حذف فطرح والشيء القليل، والحَذْفَاءُ أذُنٌ حَذْفاءُ : صغيرة كأنها قطعت، (الحَذَفَةُ) القطعة المحذوفة من الثوب ونحوه.[2] فقد دل هذا التعريف على أن لفظ حذف يشتمل على معنى البتر والقطع وسَّقط.

2_ اصطلاحا: فإن العرب تستعمله للإيجاز، والاختصار، والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمرادها فيه، وذلك كقوله عز وجل:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يس:45. وسكت عن تمام الكلام، لعلم المخاطب به فكان تقدير ذلك[وإذ قيل لهم اتقوا مابين أيديكم إستكبروا وعتوا].[3] فالحذف: الإسقاط لتخفيف كقوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلِ

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حذف).

2- مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، مادة (حذف).

3- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، (د ط)، دبي:1991م، مطبعة البولاق، ص76.

ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ يوسف: 82 والحذف أبلغ من الذكر لأنّ النفس تذهب كل مذهب الى قصد الجواب.[1]

وقد وضع الجرجاني(474 ه) للحذف مرتبة عليا ومقاما أسمى، إذ قال:« هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أَزيدُ للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِّن»[2] وعرفه ابن الأثير:« هو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظ، ويتنبه لهذا القسم من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه»[3] فإذن إيجاز الحذف هو إسقاط أحد أركان الجملة أو بضعها، مع جعل الباقي من التركيب دالا على المحذوف منه، على شريطة ألا يكون هذا الحذف مخلا بالتركيب مزعزع لأركانه.

3 _ شروط الحذف: لقد جعل علماء البلاغة للحذف شروطا يؤدى من خلالها، لكن وجب للحذف أن يترك دليلا عليه، حيث يقول الزركشي :« أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما من لفظه أو سياقه، وإلا لم يتمكن من معرفته فيصير اللفظ مخلا بالفهم لغزا فيهجن في الفصاحة، وهو معنى قولهم لا بد أن يكون فيما أبقي دليلا على ما ألقي»[4] هذا يدل على وجوب أن يكون المحذوف قد ترك أثرا يستدل به لما بقي من الكلام، وتلك الدلالة تكون على ضربين مقالية وحالية قال الزركشي:« فالمقالية[*] قد تحصل من إعراب اللفظ، وذلك كما إذا كان منصوبا فيعلم أنه لابد من ناصب، وإذا لم يكن ظاهر لم يكن بد من أن يكون مقدرا نحو"أهلا وسهلا" أي حللت سهلا

1- أبو بكر محمد بن الطيب البقلاني إعجاز القرآن، ط5، مصر:1971م، دار المعارف، ص262.
2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص146.
3- ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص84.
4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص111.
* وجد في المتن، (مثالية).

وسلكت سهلا، وصادفت رحبا[1] والحالية قد تحصل من النظر الى المعنى والنظر الى العلم فإنه لا يتم إلا بمحذوف وهذا يكون أحسن حالا من النظم الأول لزيادة عمومه كما في قولهم "فلان يحل ويربط " أي يحل الأمور ويربطها " أي ذو تصرف[2] بالإضافة الى الشرط السابق الذي ذكره الزركشي أورد السيوطي شروطا أخرى للحذف منها:

أ ـ ألا يكون مؤكدا لأن الحذف مناف لتوكيد إذ الحذف مبنى على الاختصار والتأكيد مبني على الطول.

ب ـ ألا يؤدي الحذف الى اختصار مختصر ومن ثم لم يحذف الفاعل لأنه اختصار للفعل.

ج ـ ألا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار والناصب إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل.

د ـ ألا يكون عوضا عن شيء ومن ثم قال ابن مالك إن حرف النداء ليس عوضا من(أدعوا)، ولو كان كذلك لأجاز العرب حذفه.

و ـ ألا يؤدي حذفه الى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إعمال العامل الضعيف، مع إمكان إعمال عامل قوي[3]. هذه جملة من الشروط التي وضعها البلاغيون حتى لا يُخِّل الحذف بأحد الجانبين: الجانب التركيبي، وجانب المعنى والبيان أي لا يسقط العمدة من الكلام سقطا يتعرى به الكلام وينحرف به المعنى إلى غير المراد منه، ويمكن أن نجعل هذه الشروط في مخطط كالآتي:

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص111.

2- نفسه، ج3، ص112.

3-جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: محمد البجاوي،(د ط)، لبنان: (د ت)، دار الفكر العربي، ج1، ص311.

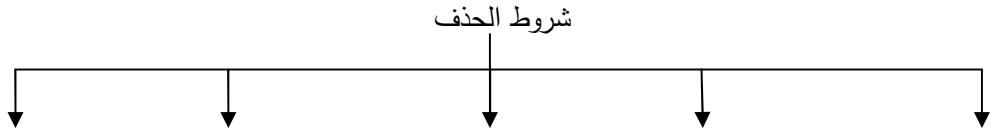

4_ أسباب الحذف : لقد فصل علماء البلاغة في أسباب الحذف تفصيلا دقيقا وقد جمع ذلك الزركشي في البرهان حيث أنه قال :[1]

أ_ مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، والبناء على الظاهر فقولك: "الهلال والله" أي هذا فحذف المبتدأ استغناءا عنه بقرينة شهادة الحال، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عيّ من القول.

ب_ التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وإن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهنة، وهذه هي فائدة باب التضمير نحو: إياك والشر والطريق، وبيان الاغراء وهو لزوم يحمد به وقد اجتمعت في قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ الشمس: 13.أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها وسقياها إغراء بتقرير إلزموا ناقة الله.

ج _ ومنها التفخيم والإعظام، ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: 73. وحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وترك النفوس تقدر ما شأنه ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص106- 107.

د ـ ومنها التخفيف لكثرة دورانه في كلامهم، كما حذف حرف النداء في قوله تَعَالَىٰ:﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۖ﴾ يوسف: 29.

هـ ـ ومنها أن يحذف رعاية للفاصلة نحو قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ الضحى : 3. وقال تعالى :﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾ الفجر: 4.ونحوه قال الرماني «إنّما حذفت الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير الياء»[1].

و ـ أن يحذف صيانة له كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢٨ ﴾ الشعراء: 23 – 28.حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أي هو ربُّ السماوات والله ربكم، والله رب المشرق والمغرب لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيبا وتفخيما فالقَصَر على ما يستدل به عن الأفعال الخاصة به ليعرف أنه ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

ز ـ ومنها كونه لا يصلح إلا له قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ المؤمنون: 92. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ ﴾ البروج: 16.

1- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 81.

ح _ ومنها شهرته، حتى يكون ذكره وعدمه سواء، وعليه حمل قراءة حمزة، قَالَ تَعَالَى:﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ النساء: 1.

فهذه أهم الأسباب التي تدعوا إلى الحذف، وتجدر الإشارة أن هناك أسباب أخرى يحذف لأجلها الكلام تكون على حسب المقام وحسب المراد من الكلام، والأسباب التي ذكرناها هي مختصرة في المخطط التالي:

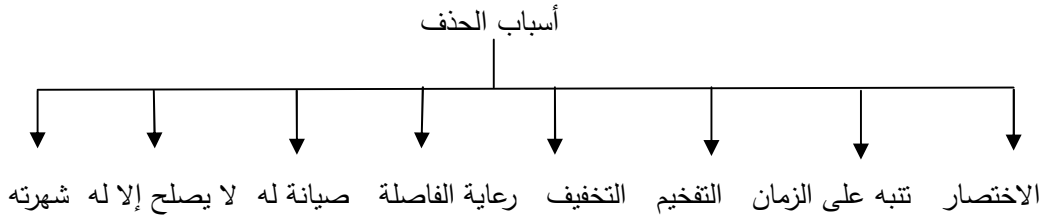

5_ إيجاز الحذف في سورة هود عليه السلام: انطلاقا مما سبق سنحاول استخراج ما حوته سورة هود عليه السلام من إيجاز الحذف وسيكون منهجنا في ذلك استنباط بعض النماذج المبيِّنةً لهذه البلاغة دون محاولة استقصاء لكل الشواهد والملاحظ أن الحذف في السورة قد أتى على ثلاثة أوجه: حذف الحرف وحذف الكلمة وحذف الجملة .

5_1_ حذف الحرف: لقد تعددت مواضع الحذف الحرف في السورة وسنجمل بعضها في الآتي :

أ _ قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾ هود: 28 – 29.

لقد تكرر حذف حرف المتكلم في لفظ النداء(يا قوم) على لسان نوح وفيه هذا لأن « تلطف نوح عليه السلام بندائه قومه بقوله (يا قوم)، (يا قوم) استدراجا لقبول كلامه »[1] وقوله هذا ترقيق لمشاعرهم واستعطافهم واستمالتهم للدخول في منهج الله الذي يدعوا إليه .

ب ـ نجد كذلك الحذف في حرف النداء في قوله**تَعَالَى**:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود: 45.و**قَالَتَعَالَى**: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هود: 47. فلقد جاء حذف ياء المنادى مع (رب) في هذه الآيات للمبالغة في تصوير قرب المنادى حيث إن معناه المربي والسيد والمالك وهو من شأنه أن يكون قريبا حاضرا لا يحتياج في ندائه الى وسائط.

جـ وشبيه ما تقدم قوله**تَعَالَى**:﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود: 83. ففي حذف النداء في (أهل) إشعار بقربهم من الله عز وجل فهم أهل بيت النبوة [2] فأفاد حذف حرف النداء بيان زيادة القرب والدنو من المنادى.

د ـ قَالَتَعَالَى:﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ هود: 105.

فقد كان الحذف في هذه الآية في موضعين الأول في لفظ (تأت) والثاني في قوله تعالى:(لا تكلم)

1 ـ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: أحمد عادل عبد الموجود، ط1 لبنان:1993م، دار الكتب العلمية، ج5، ص 218.

2 ـ عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير في القرآن الكريم وسيماته البلاغية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه النقد والبلاغة،(د ب): 1989م، ج2، ص 421.

فكان الحذف في الموضع الأول لتخفيف « فوجه حذفها في الوصل لتخفيف كما قالو في لا أبال ولا أدرِ »[1] وأنشد الشاعر:

كَفَاكَ كَفُ ما تَليقُ درهمًا جُودًا وأخرى تعطِ بالسَيفُ الدَمَا[2]

أما الموضع الثاني (لا تكلم) فقد قال فيه الطبري إنما هو : لا تتكلم فحذفت إحدى التاءين إجتزاءا بدلالة الباقية منهما عليها[3] فكان حذفها تخفيفا مثل ما كان في الموضع الأول.

هـ ـ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ هود: 109. وحذف حرف النون في﴿تَكُ﴾ وهو دلالة على الضآلة حيث إنه « خطاب للرسول ﷺ ينهاه ربه أن يشُك في بطلان عبادة المشركين أصنامهم فإنهم لا دليل لهم على صحة عبادتها إنما هم مقلدون لآبائهم يعبدون ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان»[4] فوجب بذلك إزدراء واحتقار ما كان يعبد هؤلاء من دون الله.

و ـ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ هود: 24. فقد حفت تاء (تذكرون) ودلالته أن: « هذا مما لا يحتاج الى طول تأمل وتذكر أو تفكير فإنك إذا سألت أيّ فرد من عقلاء خلق الله هل يستوي رجل أعمى أصم ورجل بصير سميع ؟ كان جوابه كلا لا يستويان، فحذف من الفعل لدلالة على أن هذا لا يحتاج

1 – ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص207.

2 – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، ط1 مصر: 2001م، دار هجر،ج12، ص575.

3 _ نفسه، ج 12، ص575.

4_ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط3، المدينة المنورة: 1997م، مكتبة العلوم والحكم، ج3، ص 582.

إلى طول تذكر وتأمل»[1] فكان حذف التاء إذن من الفعل (تذكرون) من باب أنّ المراد من ضرب هذا المثل واضح بيّن، ولا يخفى معناه عن أي عاقل ليميز بين من هو على جادة الصواب السالك الدرب الصحيح، وبين من هو أعمي لا يهتدي الى سواء السبيل، فهذه الأمثلة بعض ما قد جاء من حذف للحرف وسننتقل_ بإذن الله _ الى حذف الكلمة.

5_2_ حذف الكلمة : تعدّدت وتنوعت صور حذف الكلمة في سورة هود عليه السلام بين ما كان عمدة في الكلام، مثل المبتدأ والخبر والفاعل، وبين ما كان فضلة، مثل المضاف والمضاف إليه والنعت والمفعول به، وكلا من هذه المحذوفات سنضرب لها أمثلة يتبين لنا من خلالها بعض أسرار حذفها.

أ **_ حذف المبتدأ:** أول ما يصادفنا من حذف المبتدأ في السورة في الآية الأولى قولهتَعَالَىٰ:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ هود: 1. و(كتاب) خبر لمبتدأ محذوف و(أحكمت) صفة له[2] وتقدير (هذا كتاب) وكانت دلالة الحذف هنا الأجل التفخيم والإعظام ذلك لمكانة القرآن فهو الكتاب المحكم الآيات المفصّل لها، ومن حذف المبتدأ أيضا نجد مبتدأ خبر (سلام) في قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ ﴾ هود: 69. « وسلام خبر لمبتدأ محذوف أي (أمري وأمركم سلام)

1- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، مصر:2006م، العاتك لصناعة الكتب ص18.

2_ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص201.

أو خبر لمبتدأ محذوف أي عليكم السلام»[1] فقد دل حذف المبتدأ على دوام والثبات في الأمر وهو أمر السلم.

ب_ حذف الخبر: من المعلوم أنّ الخبر يحذف وجوبا في أربعة مواضع منها: « أن يكون خبرا لمبتدأ بعد لولا »[2] ومثاله قوله تعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠ ﴾هود: 110. فـ (كلمة) « مبتدأ مرفوع بالضمة وخبره محذوف وجوبا»[3] وتقديره ولولا كلمة موجودة وحذف الخبر في هذا الموضع لدلالة على عظمة هذه(الكلمة) فهي « إرادة الله الأزلية وسنته في خلقه»[4] ومن حذف الخبر حذف خبر (سعيد) في قوله تعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ ﴾ هود: 105. أي «ومنهم سعيد وحذف الخبر لدلالة الأول عليه»[5] فقد دل الخبر المقدم الأول(فمنهم) على الخبر الثاني المحذوف (ومنهم) فلم يحتاج الى إعادة ذكره فحذف اختصارا.

ج _ حذف الفاعل : ويحذف الفاعل للتعظيم ومثال ذلك قولهتعَالَىٰ:﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾هود: 44. « ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلالة والكبرياء وأن تلك الامور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر»[6]

---

1 _ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: أحمد عبد الموجود، ط1، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، 1998م، ج3، ص 215.

2_ بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ط20، مصر،(د ت)، دار التراث، ج4 ص55.

3 _ بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ط1، الأردن،1993م، دار الفكر، ج5 ص294.

4_ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج 12، ص 171.

5_ الألوسي، روح المعاني، ج12، ص141.

6 _ الزمخشري، الكشاف، ج3، ص182.

وقد يكون بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل لتحاشي ذكره وللعلم به كما في قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هود: 60. « أي إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم، وعبر عن ذلك بتبعية للمبالغة كأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حسبما دارو »[1] فقد لازمتهم أي قوم عاد اللعنة إلى يوم القيامة.

د_ حذف المضاف: ومن أمثلة حذف المضاف في السورة نجد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ هود:3.فقد حذف مضاف(فضله) « أي (جزاء فضله) فحذف المضاف وبقي المضاف إليه وهو المفعول الثاني لفعل (يؤت).»[2] فحذف اختصارا واحترازا، ومن حذف المضاف حذف مضاف (أمة) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ هود: 8. وتقديره « إلى مجيء أمة ليس فيها من يؤمن فستحق الهلاك أو على إنقراض أمة فيها من يؤمن فلا يبقى بعد انقراضها مؤمن »[3] وهذا من باب التنبيه على الزمان يتقاصر وهو من باب التحذير والإغراء.

هـ_ حذف المضاف إليه: لقد تعدّدت صور حذف المضاف إليه في السورة وتعدّدت معها دلالات حذفه ومن بين الآيات التي تمثل فيها هذا الحذف نجد قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود: 45. وهذه الآية محذوفة المضاف إليه الذي هو ياء المتكلم المتصلة بالمنادى (رب) وتقديره (ربي) وتجلت دلالته أن نوح

1_ الألوسي، روح المعاني، ج12، ص87.

2_ أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، (د ط)، لبنان: (د ت)، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص239.

3_ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، ، لبنان: 2006، مؤسسة الرسالة، ج11، ص77.

قد نادى ربه عالما بقربه مستشعرا لوجوده فلم يحّتج إلى ذكر المضاف إليه والدلالة الثانية هي دلالة تقاصر الوقت فنوح عليه السلام كان طامعا أن ينجي الله تعالى ابنه من الطوفان فعدل عن ذكر المضاف إليه لعظم الموقف وتلاحق الأهوال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ ﴾هود: 40 ففي الآية حذف للمضاف بعد لفظ (كلٍّ)« فيكون التنوين عوض عن المضاف إليه أي من كل المخلوقات»[1]

و_ حذف الصفة: « وأكثر ما يرد هذا الحذف للتفخيم والإعظام في النكرات وكأن النكرات حينئذٍ علمٌ عليه»[2] وهذا النوع نادر الوجود في السورة ومما قد استبان لنا من هذا اللون من الحذف قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ هود: 46. والتقدير« أي ليس من أهلك الناجين»[3] والمعنى« ليس من أهلك الذين عمهم الوعد لأنه ليس على دينك وإن كان إبنك بالولاء»[4] فجاءت دلالة حذف النعت على عظيم شأن من قد نجى من الغرق وابن نوح لم يكن منهم ولو أنه ولده بنسب فالولاية الحقى لدين.

ز_ حذف المفعول به: علق الجرجاني على حذف المفعول به فقال: « فالمفعول به إذا حذف خصوصًا فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده أخصّ واللطائف كأنها فيه أكثر ومما يظهر بسببه من حسن رونق أعجب وأظهر»[5] ونُمثل لحذف المفعول به من السورة بالآتي:

1_ الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير،ج12، ص72.

2_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص155.

3_ نفسه، ج3، ص55.

4_ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص177.

5_ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص153.

1_قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ هود:28. فالمفعول الكاف المحذوفة من قوله (أَرَءَيۡتُمۡ) وتقديره: أرأيتكم البينة من ربي إن كنت عليها (أنلزمكموها) فهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني[1]

2_ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ هود: 54. والتقدير:« إني أشهد الله أني بريء وأشهد الله أني بريء مما تشركون، فحذف المفعول الأول على حد ضربت وضربني زيد»[2] فقد حذف اختصارا وتفاديا للتكرار.

5_3_ حذف الجملة : يظهر حذف الجملة واضحا في القرآن الكريم وكذا الحال في سورة هود عليه السلام ومن أمثلة حذف الجملة سنذكر الآتي:

أ_ حذف الجملة برمتها: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾ هود:50.وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ هود: 61.وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ هود: 84. والتقدير :« وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا، وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا، وإلى مدين أخاهم شعيبا»[3] والمحذوف في كل هذه الجمل جملة (الفعل والفاعل)، وفي هذا الصدد يقول الزركشي في أسباب حذفها « أن يدل

1_ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص217.
2_ نفسه، ج5، ص217.
3_ ينظر: الزجاج ، إعراب القرآن ومعانيه، ج3، ص56-59-72.

عليه ذكره في موضع آخر»[1] وذلك حين يعقب عن الآية السابقة ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ «ليس شيء قبله تراه ناصبا(صالحا) بل علم بذكر النبي والمرسل إليه فيه إضمار (أرسلنا)»[2] فحذفت هذه جمل اختصارا وتجنبا لتكرار، ومن حذف الجملة أيضا نجد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ هود: 66. وتقدير: «يومئذ يعذبهم ربهم إن ربك هو القوي العزيز»[3] وكانت بلاغة الحذف هنا أن «الحذف أولى من الذكر لأن الجملة بعد إذ يستدعيها السياق ويحتاج إليها ويكون حذفها زيادة بلاغة وحسن الإيجاز ولا يجتمعان مع ذكرها»[4] فقد كان عدم ذكر الجملة أوجب من ذكرها لما اقتضته من عظيم البلاغة وتخلص باهر.

ب _ حذف القول: قال الزركشي :« وقد كثر في القرآن العظيم حتى كأنه في الإضمار بمنزلة الإظهار»[5] ومن حذف القول في سورة هود قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ هود: 3. وقوله (فإنّي) مقول القول مقدر أي (قل يا محمد إني لكم منه – أي من جهة الله– نذير مخوف من عذابه لمن كفر بشير بجنته لم نآمن»[6] ولقد حذف القول طلبا للاختصار ولوضوح الدلالة عليه فالمخاطب معلوم ولا حاجة لتبيانه، ومثله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ

1_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج5، ص206.
2_ نفسه، ج3، ص206.
3_ مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، (د ط)، مصر: (د ت)، دار المعرفة الجامعية ص389.
4_ نفسه، ص نفسها.
5 _ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص196.
6_ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص138.

نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ هود:25. ودليل حذف القول المحذوف كسر همزة (إني) في (إني لكم نذير مبين) وهو« على أرادة القول أي فقال أو قائلا»[1] فكانت دلالته مثلما كانت عليه دلالة المثال الأول.

ج _ حذف الأجوبة: يكثر حذف الأجوبة وذلك في جواب (لو) ومن مواطن ذلك الحذف نجد قوله تعالى:﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ هود: 80. والمعنى لو أن لي قوة لحلت بينكم وبين المعصية، وفي بيان سر هذا الحذف يقول الزركشي: « إنما لما ربطت إحدى الجملتين بأخرى حتى صارت جملة واحدة أوجب لها فضلا وطولا فخفّفت بالحذف خصوصا مع دلالة على ذلك»[2] فجاء الحذف للاختصار وتجنب الطول في الكلام. ومن الأمثلة على حذف الأجوبة نجد أيضا قوله تعالى:﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ هود: 101. فما الذي أوجب الحذف هنا ما سر ذلك، وهل كان ذكره يفيد شيئاً والجواب هنا؟ :« إن الإنسان الذي يقرأ ويسمع الأمثلة في القرآن الكريم يدرك أن ما وصل إليه هؤلاء في هذا الموقف إنما هو جزاء عادل لما ارتكبوا من حماقات وآثام في دنياهم، فقد سخروا من أنبياء الله ورسله، ونظروا إليهم شزراً وكانوا يمقتلونهم، ويناصبونهم العداء ويقفون لدعوتهم بالمرصاد، ليصّدوا عن سبيل الله فماذا كان يفيد ذكر الجواب؟ ....إنه بحق كلام الله، المنزل على رسوله، ليخرج الناس من ظلمات الجهل، وضلالات الكفر إلى نور العلم والعرفان ويقين الحق والإيمان، فحذف الجواب بأيِّ حال أوصفةٍ أبلغ من ذكره، لوجود ما يدل عليه

1_ أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج4، ص199.

2_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص144.

والبلاغة الإيجاز»[1] فجاء حذف الجواب إذا اختصارا لما كانت عليه حال هؤلاء الكفار من تعنتهم ومكابرتهم، وعلى مآلهم الذي سيصيرون إليه ذلك لاتخاذهم آلهة غير الله.

ومن كل هذا يتبن لنا أن إيجاز الحذف قد تعدّد بين حذف الحرف وحذف الكلمة والجملة وكل واحد من هذه المحذوفات له سر بلاغي ووجه إبداعي يأتي لأجله وما من موضع من مواضع الحذف إلا وقد دل عليه دليل نستشفه من خلال ما تبقى من الكلام وللحذف صور وأنواع غير هذه ذكرها البلاغيون مثل حذف الموصوف وشرط وأداة الشرط وقدموا لها شواهد وتفسيرات.

ثانيا: إيجاز القصر

1_ لغة: قصر، وقصرته: حبسته، وهو كالنازع المقصور الذي قصره قيده وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمع إلى غيره وقصرت طرفي: لم أرفعه إلى ملا ينبغي، وهن قاصرات الطرف قصرنه على أزواجهن، وقصر الستار أرخاه، واقتَصِر على هذا لا تجاوزه، وقَصرُك، وقُصَاركَ، وقِصَارَكَ أن تفعل كذا، مخاصر الطرق ومقاصِرها وهي ما يختصر منها[2] ويقال« قَصُركَ أن تفعل كذا أي أحسبك كافيتك غايتك وكذلك قُصَاركَ وقُصْرَاكَ، وهو معنى القصر والحبسه، وقال ابن سيدة يقال قَصْرُكَ وقُصَارُكَ وقِصَرُاكَ، وقِصَارِكَ أن تفعل كذا أي جهدك وغايتك وآخر أمرك، وما اقتَصَرتَ عليه»[3] فهو من حيث اللغة إذا الصغر والحبس والوصول إلى المنتهى في الحد.

1_ خضر عبد السلام حسن أو طالب، من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن، ط1، (د ب): 1993م دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص119_120.

2 _ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح:عبد الرحيم محمود، (د ط) لبنان: 1979م، دار المعرفة، ص509_510.

3_ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر).

2_ اصطلاحا: يري أبو هلال العسكري (395ه) أن إيجاز القصر هو« تقليل الألفاظ وتكثير المعاني »[1] لكن عقب بن سنان على هذا التعريف بقوله: « لكن لا تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد لبّست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه الى طرق من التأمل ودقيق الفكر فإن هذا عيٌّ في الكلام ونقص»[2] وهذا ما قد ذهب إليه ابن أبي الأصبع فعرفه بأنه: « اختصار ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزا من غير حذف لبعض الاسم ولا عدولٍ عن اللفظ المعني الذي وضع له»[3] وصار البلاغيون المحدثون على نهج القدامى في تعريفهم لإيجاز القصر وفي هذا يقول فضل عباس « القصر هو تضمين الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة، وهو غير الحذف فهو لا يمكن أن نعبر عن معانيه، بألفاظ مساوية لتلك الألفاظ التي عبِّر بها عن هذه المعاني»[4] فهو يعرفه كما عرفه القدامى أي هو إيجاز من غير حذفٍ فالجملة تأتي كاملة العناصر ولكن الإيجاز يكون في دلالة الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة ونذكر هنا ما قد كان من منزلة عالية لهذا اللون من الإيجاز حيث يقول فيه السيوطي إنه :« يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال رسول ﷺ (بعثت بجوامع الكلم)[5] وجوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ إذن هي اجتماع هذه المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة مع حسن البيان والقدرة على الإيصال بأقرب طريقة حتى يكون الكلام وجيزا

1_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص131.

2_ ابن سينان الخفاجي، سر الفصاحة، ص174.

3_ ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، تح: حفي محمد شرف، (د ط)، مصر: (د ت) لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص459.

4_ فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص470.

5_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيﷺ نصرت بالرعب،(د ط)، المملكة السعودية: بيت الأفكار الدولية لنشر 1998م، ج1، ص 571.

مختصرا»[1] ومن كل هذه التعاريف قد جعل البلاغيون إيجاز القصر؛ هو التعبير بأقل ما أمكن من الألفاظ بأكثر ما أمكن من المعاني، دون أن يخل هذا القِصَر بالمعنى، وهذا النوع من الإيجاز قد بلغ مبلغا لا يطؤه إلا الجهابذة من الفصحاء فهو لا يكون في كلام الناس إلا نادرا ونجد منه النزر القليل، أما وجوده في كلام الله عز وجل، وكلام النبي ﷺ فقد كثر وتعدد، ويمتاز إيجاز القِصَر عن إيجاز الحذف بالقوة والجمالية فهو قد جمع سلامة التركيب مع قصره وكثرة المعاني مع إيضاحها.

3_ إيجاز القصر في سورة هود عليه السلام : سنحاول أن نتبَّن بعض مواضع إيجاز القصر في السورة وذلك دون استقصاءها جميعها إنّما نضرب بعض الأمثلة التي توضح مكانة هذا اللون البلاغي ومن أمثلته نجد:

أ_ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ ﴾ هود: 24. فهذا التشبيه البليغ هو في لفظه قليل لكن معانيه كثيرة وعديدة يعجز عن الإحاطة بها، فهو وصف للكافرين والمنافقين وحالهم في ظلماتهم وجهالتهم، وصفُ حال المؤمنين المهتدين في المستضيئين بنور الله وفي هذا المثال أيضا عقد للمقارنة بين هذين الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير

ب _ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ هود: 44. قال جلال الدين السيوطي في بيان وجه الإعجاز في هذه اللآية:« أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد

1_ ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، سوريا:2008م، مؤسسة الرسالة، ص559.

وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح من درج في هذه الجملة من بديع اللفظ والإيجاز والبيان لجفت الأقلام، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفي " العجائب" للكرماني أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر على الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن نبشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا في فصاحة لفظها وحسن نضمها، وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال »[1] فلقد حملة هذه الآية القصيرة في ألفاظها معاني كثيرة تعجز الألسن على ذكرها والدواوين على احتوائها.

جـ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ هود: 112. قال الزمخشري في تفسير هذه الآية:« استقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها»[2] فانتظم في كلمة الاستقامة جميع مكارم الأخلاق، ومحاسن الأصلية والفرعية والكمالات التي ينشدها المقربون من الأحكام

دـ ومن إيجاز القصر : الإحالة بالضمير إلى مضمون ما تقدم من قول فيكون الضمير تلخيصاً لهذا القول ومنه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾ هود: 49. فقد أشار ضمير الغائب على قصة نوح عليه السلام، وما قد تضمنته من حوادث جِّسام وأمور عظام.

من خلال ما تقدم يمكن القول، أن إيجاز القصر قد تجلى في سوره هود عليه السلام بشكل واضح مثله مثل إيجاز الحذف، لكن إيجاز القصر أدق مسلكا وأوعر سبيلا وهو قليل الوجود إذا ما قارناه بإيجاز الحذف ولكن كانت دلالاته أقوى وأوضح وأوقع في النفوس.

1_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 530_ 531.

2_ الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 240.

ويمكن تلخيص أقسام الإيجاز في المخطط الآتي:

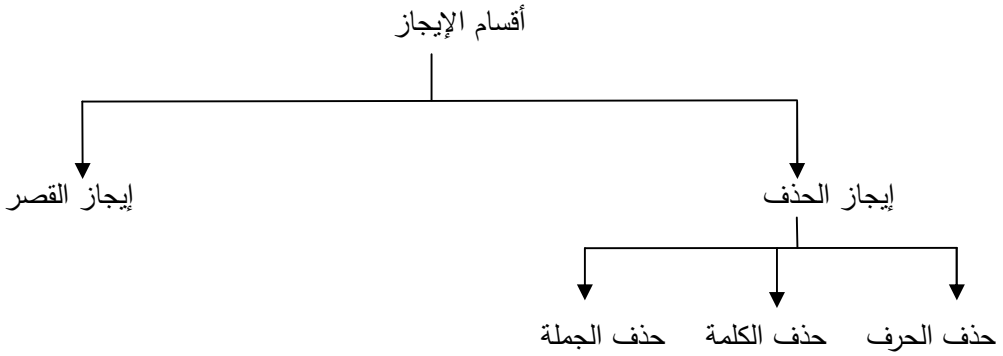

يعتبر الإيجاز من بين أهم الأساليب البلاغية التي يمكن بفضلها إيصال المعاني إلى المخاطب بدقة واختصار، وهذا ما لمسناه من خلال سورة هود عليه السلام، إذ وجدنا أن المعاني الغزيرة تؤدى من خلال الألفاظ القليلة، وانقسم هذا الأسلوب إلى قسمين إيجاز الحذف ويكون إما بحذف الحرف أو الكلمة أو الجملة، وإيجاز قصر هو غير الحذف ويكون بتكثير المعاني في ألفاظ قليلة.

الفصل الثاني: بلاغة الإطناب في سورة هود عليه السلام

المبحث الأول: تعريف الإطناب وأقسامه

المبحث الثاني: مواضع الإطناب ومكانته البلاغية

المبحث الثالث: أغراض الإطناب وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام

توطئة:

إنَّا وبعد أن تحدثنا عن الإيجاز وبيَّنا أهمَّ ما ينطوِّي تحته من أسرار بلاغية، ينبغي التحدث كذلك عن الإطناب بما أنه المقابل له، إذ يعتبر هذا الأخير فرعا من فروع علم المعاني، وهو من أبرز الأساليب التعبيرية التي يوصل بها المخاطب أفكاره للمتلقي، وقد حظي هذا الفرع بعناية كبيرة من علماء البلاغة، فقد أفردوا له فصولا خاصة به في كتبهم، كما نجد العرب أيضا قد استعملوه ووظفوه في أشعارهم وخطبهم وحكمهم وأمثالهم.

إنّ أسلوب الإطناب في القرآن الكريم مثله مثل الإيجاز، فقد تميز بخصائص بيانية عبرت عن الإعجاز القرآني، وإن هذا الأسلوب يتردد غالبا في القصص القرآني، ونشير هنا كذلك إلى أن الله تعالى إذا خاطب الأعراب أوجز، وإذا خاطب أهل الكتاب أطنب، ذلك لبعد فهمهم وعنادهم وقصد إقامة الحجة عليهم .

وإن للإطناب أغراضا وأنواعا عديدة سنأتي على ذكرها وبيان مواضعها وأسرارها كل ذلك من خلال سورة هود عليه السلام.

المبحث الأول: تعريف الإطناب وأقسامه

أولا: تعريف الإطناب لغة واصطلاحا:

1_ لغة: جاء في مقايس اللغة لابن فارس(390هـ) تحت مادة " طَنَبَ" قوله: « الطاء والنون والباء أصل يدل على ثبات الشيء وتمكنه في الاستطالة ومن ذلك الطّنَبُ: طَنَبُ الخيام، وهي حبالها التي تشد بها، ويقال طَنَبَ المكان: أقام، ولإطْنابَةُ المظلة وأنها إفعالة ما طَنَبَ، لأنها تثبت على ماتظله، والطَنَبُ سير يشد في طرف وتر القوس، ومن الباب قولهم أطنب في الشيء إذا بلغ كأنه ثبت عليه إرادة للمبالغة فيه، وكذلك أطنبت الإبل إذا تبع بعضها بعضا في السير»[1] والمطنب حبل العاتق وجمعه مَطَانِبُ، ويقال لشمس إذا تقضبت عند طلوعها لها أطناب وهي أشعة تمتد كأنها القضب، ويقال : هو جاري مطَانِبي أي طنب بيته إلى طنب بيتي.

وجيش مِطْنابُ: بعيد ما بين الطرفين لا يكاد ينقطع قال الطرماح:

عَمِّي الذي صَبَّحَ الحَلائِّبَ غَدْوَةً منْ نَهْرَوانَ، بجحفلٍ مَطْنابِ

والإطناب : المبالغة في المدح أو الذم والإكثار فيه، والمِطْنَابُ المداح لكل أحد[2] وجاء في الوجيز: « أطنَبَ في الكلام أو الوصف أو الأمر أي بالغ وأكثر »[3] ومن كل هذه التعاريف نخلص إلى أنّ الإطناب لغة لم تختلف معانيه في معاجم العربية فقد جاء بمعنى : البعد، الشدة، والطول، والقوة والكثرة وأقرب تعريف والذي يصب في موضوع بحثنا هذا ما جاء في لسان العرب وغيره : هو القوة

1_أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون (د ط)، ، مصر: 1979م ، دار الفكر"مادة(طنب).

2_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (طنب).

3 _ مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، مادة (طنب).

والشدة المبالغة والبلاغة سواءً كانت مدحا أو ذما في الكلام وكذلك ما قد جاء في الوجيز:« أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة وهو يقابل الإيجاز ويتوسطهما المساواة »[1] فالإطناب هو المبالغة في الكلام وهو يقابل الإيجاز.

2_ اصطلاحا: لقد عنى القدماء والمحدثون من البلغاء بالإطناب وأشاروا إليه كثيرا وتحدثوا عنه بإسهاب ونعد من أوائل من قد ذكره الجاحظ حيث يقول في أبواب إتيانه في الكلام: « هناك أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى الحاجة وإنّما الألفاظ على المعاني فكثيرُها لكثيرِها وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها تحتاج إلى الألفاظ أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة،(...) إلا أني لا أشك على حالٍ أن النفوس إذ كانت لطرائق أحنّ، وبالنوادر أشغف وإلى قصار الحديث أميل وبها أصب، أنها خليقة لاستثقال الكثير، وإن استحقت تلك المعاني الكثيرة، وإن كان ذلك الطويل أنفع ذلك أردّ »[2] فقد جعل الجاحظ الإطناب واجب الوجود في الكلام لإيضاح الملتبس ومن باب إعطاء المعاني حقها من الألفاظ فلا يمكن اختصار ما به يفهم المقصود، وأن النفوس تحن إلى طول اللطائف وأخبار النوادر فكان ذلك الطول أنفع وذلك الكثير أرد، وفي ذلك قال الرماني: « إن الإطناب بلاغة والتطويل عيٌّ وإطناب إنما يكمن في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل »[3] ومثَّل لذلك قائلا: « وهو كمن سلك طريقا بعيدا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة فيجعل له في الطريق إلى عرضه من الفائدة نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب »[4] ولقد فصل الرماني بين

1_ مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، مادة(طنب).
2_ أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج6، ص 6_7_9.
3_ أبو الحسن بن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص3.
4_ نفسه، ص 3.

الإطناب والتطويل فقد جعل التطويل هو إخلال بالمعنى وإفسادا له عكس الإطناب فهو تفصيل للمعنى وإيضاح لما قد أشكل وتفسير لما قد أبهم وشبهه بأن يتخذ المرؤ طريقا بعيدا مع ما فيه من النزهة والفوائد العظيمة فيحصل له من خلال هذا السبيل المطلبيْن النزهة والغرض المطلوب، ويفرق أبو هلال العسكري بين الإطناب والتطويل فيقول: « الإطناب بلاغة والتطويل عيّ لأن التطويل بمنزلة ذكر ما يبعد جاهلا بما قرب والأطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد يحتوي على زيادة فائدة »[1] وقد قال السكاكي « الإطناب أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارات متعارف الأوساط سواءً كانت الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»[2] وقد نحى هذا المنحى القزويني فشرح كلام السكاكي وتبعه في ذلك بقوله «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والتعيين والبناء على أمر عرفي وهو متعارف الأوساط أي كلامهم في مجرى عرفهم في التأدية المعاني وهو لا يحمد في باب البلاغة ولا يذم فإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف عليها والإطناب أداؤه بأكثر منها»[3] ويضيف القول: « المطنب أنما يكون مطنبا بالنسبة إلى ما هو أننقص منه (الأوساط) أي الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة ولم يتدلوا إلى حضيض العي والفهاهة »[4] ولقد إستفاظ ابن الأثير في ذكر الإطناب وقد جعل له أمثلة كثيرة من كلام الله وكلام الناس وقد قال فيه: « هو زيادة اللفظ على المعنى بفائدة والتطويل هو زيادة اللفظ على المعنى بغير فائدة »[5] وقال: « إن مثال الإيجاز والإطناب والتطويل مثال مقصد يسلك إليه من ثلاثة طرق فإيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة والإطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد إليه، إلا أنّ طريق الإطناب يشتمل على منزه من المنازه لا يوجد في طريق

1_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 143.
2_ أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص388.
3_ القزويني، التلخيص علوم البلاغة، ص209_210.
4_ نفسه، ص 209.
5_ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، ج3، ص344.

التطويل »[1] وأردف القول: « إن الإطناب يأتي مؤكدا كالذي يأتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود إما حقيقة وإما مجازا والتطويل ليس لذلك فإنه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه، فإذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى، المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيء وهذا بخلاف الإطناب فإنه إذا حذفت تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه فائدة التصوير والتخيل التي تفيد السامع ما لم يكن بها»[2] وقد قدم لنا ابن الأثير مثلا غاية في الدقة بين فيه موقع الإطناب وتموضعه بين الإيجاز والتطويل حيث يقول:

« ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ الحج: 46.

وهذا لا يسمى إيجازا لأنه أتى فيه بزيادة لفظ وهو (الصدور) وعلم أن القلوب لا تكون إلا في الصدور ولا يسمى تطويلا لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة »[3] وفائدته تقرر أنّ مكان العمى إنما هو القلوب لا الأبصار، إنّ الإطناب بمفهوم اللغوي والإصلاحي ينحصر في إتجاه وهو الكثرة والاستطالة والتطويل فاعتبروا التطويل عيّ في اكلام ذلك أنه زيادة في الألفاظ دون فائدة تأتي منه بينما الإطناب هو لون من ألوان البلاغة وسر من أسرار الفصاحة ويجئ لفائدة عظيمة وهي التي أخرجته من التطويل والحشو وأدخلته في زمرة الأساليب المثمرة فمادة الكلمة تحمل معنى الزيادة لكنها زيادة لفائدة تهدف إلى أغراض بلاغية دقيقة، وقد وقف علماء البلاغة أمامها باحثين متأملين وخلصوا الى جملة منها، والتى سنحاول تناولهما من خلال هذه الدراسة.

ثانيا: أقسام الإطناب :قسم ابن الأثير الإطناب إلى قسمين أساسين وهذا ما سنعرضه في الآتي:

1_ القسم الأول: الإطناب في الجملة الواحدة : وأوضح ابن الأثير في هذا القسم أنه يرد حقيقة ومجازا، أما حقيقة مثل "رأيته بعيني" و" قبضته بيدي" و" وطئته بقدمي " و" وذقته بفمي" وكل هذا

1_ ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص 344.
2_ نفسه، ج3، ص 344.
3_ نفسه ، ج3، ص 383.

يظن الظان أنه زيادة لا حاجة إليها، ويقول إن الرؤية لا تكون إلا بالعين، والقبض لا يكون إلا باليد، والوطء لا يكون إلا بالقدم، والذوق لا يكون إلا بالفم، وليس الأمر كذلك بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله ويعز الوصول إليه، فيؤكد الأمر على هذا الوجه لدلالة عل نيله والحصول عليه كقول البحتري :

تَأمَلْ مِنْ خِلالِ السَّجْفِ وانْظُرْ بِعَيْنِكَ مَا شَرِبْتُ وَمنْ سَقَانِي

تَجِّدْ شَمسُ الضُّحَى تَدْنُوا بِشَمْسٍ إليَّ مَنْ رَحيقٍ الخَسْرواني[1]

ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعز وجوده، وكان الساقي فيه على هذه على الصفة من الحسن قال" أنظر بعينك" و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ الأحزاب: 4. فإن هذا القول لما كان فيه إفتراء عظم الله تعالى على قائله، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور: 15. ففي هذه الآية إشارة إلى تعظيم الأمر المقول »[2] ومثال ما قد جاء على سبيل المجاز قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: 46. ففائدة ذكر الصدور أنه قد عرف وعلم لأن العمى على الحقيقة المكان البصير، واستعماله في القلب تشَّبه ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبت العمى إلى القلوب حقيقةً ونفيه عن الأبصار، احتاج الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أنّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار»[3] ويتبعه في هذا العلوي فقال معقبا على هذه الأية : « فالفائدة بذكر الصدور ها هنا وإن كانت القلوب حاصلة في الصدور، على جهة الإطناب بذكر المجاز وبيانه أنه لما علم وتحقق

1_ أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، (د ط)، لبنان، (د ت)، دار صادر، ص 165.

2_ ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص346، 347.

3_ نفسه، ج2، ص 350.

أن العمى على جهة الحقيقة، إنما يكون في البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يذهب نورها ويزيله واستعماله في القلوب إنما يكون على جهة التجوز والتشبيه، فلما أريد ما هو على خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب ونفيه عن الأبصار، احتاج الأمر فيه إلى زيادة وتصوير وتعريف ليقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار »[1] فكان لهذه الزيادة فائدة كبيرة حيث أخرجت المعنى من حقيقته إلى المعنى المجازي مع الزيادة في التصوير.

2_ القسم الثاني: أما القسم الثاني المختص بالجمل فإنه يشتمل على ضروب أربعة وهي:

أ_ الضرب الأول: تداخل المعاني:

وهو أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعانٍ متداخلة إلا أنّ كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر وذلك كقول ابي تمام:

قَطَعْتُ إلى الزَابِيينَ هِبَاتُهُ والتَاثُّ مَامُولُ السَّحابِ المُسَّبَلِ

مِنْ مِنَةٍ مَشْهُورَةٍ وصَنِيعَةَ بَكْرٍ وإحْسَانٍ أغرَّ مُحَجَلِ

فقوله (منة مشهورة، وصينعة بكر وإحسان أغرّ محجل) تداخلت معانيه، إذا المنة والإحسان متقارب بعضه من بعض، وليس ذلك بتكرير ولأنه لو اقتصر على قوله (منة وصنيعة إحسان) لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحد ومنهن بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فلما وصف هذه المعاني بأوصاف متباينة صار ذلك إطنابا، ولم يكن تكريرا، وقال أنه لم يجد في ضروب الأطناب أحسن من هذا الموضع ولا ألطف، وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف

1_ يحي بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، لبنان:2002م، المكتبة العصرية، ج2، ص 242.

غيره من الشعراء»[1] فهذا الضرب من الإطناب هو تكثير الألفاظ في معنى واحد لا تكريرا إنّما هي أوصاف متباينة تعطي زيادة ولطافةً للمعنى.

ب_ الضرب الثاني: يسمى النفي والإثبات : « وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الإثبات والعكس، ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الأخر وإلا كان تكريرا والغرض منه تأكيد ذلك المعنى المقصود كقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ الروم: 1-7. فقوله (يعلمون) بعد قوله (لا يعلمون) ألا ترى أنه نفي العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم ما كان بالظاهر من الأمور ولهذا الضرب من الإطناب فائدة كبيرة وهو من أوكد وجوهه»[2] ففي هذا الضرب يأتي اللفظ على حالين الحال الأول على سبيل الإثبات والثاني على سبيل النفي أو العكس وما ذلك إلا تأكيدا للمعنيين فالأشياء بأضدادها تفسر.

ج _ الضرب الثالث : تمام وضرب المثل: وهو المعنى الواحد تاما لا يحتاج إلى زيادة، ثم يضرب له مثلا من التشبيه يقول البحتري:

ذَاتَ حُسْنٍ لو اسْتَزَادَت من الحُسْنِ إلَيْهِ لَمَّا أصَابَتْ مَزِيدَا

1_ ابن الاثير، المثل السائر،ج2، ص 351_ 352.

2_ يحي بن حمزة العلوي، الطراز،ج2، ص234.

فَهِيَ كالشَّمسِ بَهْجَةٌ والقَضِيبِ اللَدُّنِ قِدًا والرِيمُ طَرَفًا وَجِيداً[1]

ألا ترى أن الأول كاف لبلوغ الغاية في الحسن لأنه لما قال : " لو استزادت لما أصابت مزيدا" دخل تحته كل شيء من الأشياء الحسنة، إلا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا وتخيلا لا يحصل من الأول، وهذا الضرب من أحسن ما جيء في باب الإطناب »[2] فهذا الضرب هو ذكر للفظ جامع ثم يذكر بعده ألفاظ لها من المعاني ما تفصل ذلك اللفظ الجامع، ويأتي هذا التفصيل على سبيل التشبيه أو المثل.

د_ الضرب الرابع: استيفاء المعاني: قال ابن الأثير: « أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا من أصعب الأضرب الأربعة طريقا وأضيقها بابا، لأنه يتفرع إلى أساليب كثيرة من المعاني، وأرباب النظم والنشر يتفاوتون فيه، وليس الخاطر الذي يقذف بالدرر في مثله إلا معدوم الوجود ومثاله مثال الإيجاز المجمل والمفصل(...) وقد ذكرت في وصف بستان ذات فواكه متعددة، فإذا أريد وصفه على حكم الإيجاز قيل فيه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ ﴾ الرحمن: 52. وهذا كلام الله تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة، بأحسن لفظ واخصره وإذا أريد وصف ذلك البستان على حكم الإطناب قيل فيه ما أذكره، هو جنة علت أرضها أن تمسك ماء، وغنيت بينبوعها أن تستجدي السماء وهي ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة، ففيها المشمش الذي يسبق غيره بقدومه، وبقذف آيدي الجانبين بنجومه فهو يسمو بطيب الفرع والنجار(...) وفيها العنب الذي هو أكرم الثمار طينةً وأكثرها ألوان زينة، وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام فهذا الوصف على هذه الصورة يسمى إطنابا لأنه لم

1 _ البحتري، ديوان البحتري، ص54.

2_ ابن الأثير، المثل السائر،ج2، ص354.

يعر من فائدة، وذلك الأول فهو إيجاز لأنه اشتمل اختصاره على جميع الفاكهة » [1] فهذا الضرب كما أشار إليه ابن الأثير صعب المسلك نادر في كلام الناس فهو قليل الوجود فيه، فهذا الضرب يقوم علي تكثير الكلام في معنى واحد مع الإتيان بفائدة جديدة دون تكرار. وهذا الرسم يوضح هذه الأقسام مجملة:

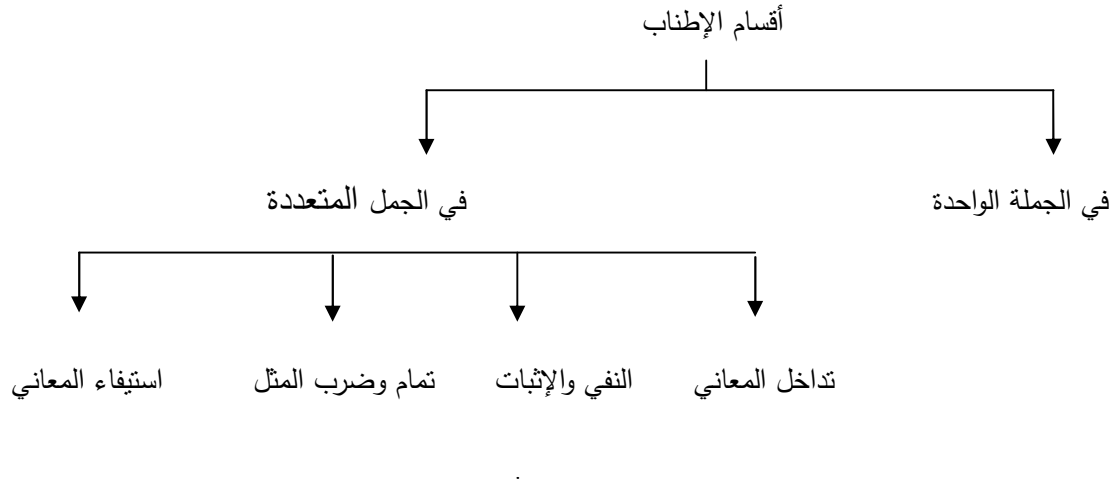

1_ ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص335_357.

المبحث الثاني: مواضع الإطناب ومكانته البلاغية :

إن للإطناب مكانةً وجب التنويه إليها ومحاسن لزم ذكرها وتبيِّنها فهو أسلوب له من الرونق الشيء الكثير وعذوبته ظاهرة جلية وسنأتي على بعض ما سطره علماء البلاغة من أقوال توضح مكانته وعلو شأنه فقد قال الجاحظ : « ولأن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى، ومن تمام الإكرام به، وقالوا " من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة »[1] وهذه إحدى المواضع التي يستحسن فيها الإطناب وقال العسكري « قال أصحاب الإطناب المنطق هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعنى، ولا يحاط بالمعنى إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن والريض والمرتاض، ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية إلا لإفهام الرعايا »[2] ويضيف العسكري « قال الخليل :(يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم) قيل: لأبي عمر بن العلاء (هل كانت العرب تطيل) قال: (نعم كانت تطيل ليسمع منها) فالإطناب إن لم يكن منه بد إيجاز، وهو في المواعظ خاصة محمود ونضرب له مثلا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأعراف: 97 – 99. فتكرير ما كرر من الألفاظ هاهنا في غاية حسن الموقع، وأنشدوا:

صَمُوتٌ إذا الصَّمْتُ زَيَنَ أَهْلهُ وفَتَاقُ أَبْكارِ الكَلامِ المُحَبَّرِ

1 _ الجاحظ، البيان والتبين،ج1، ص10.

2_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص141_ 142.

ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بن السماطين في مدح الملوك أطنّبوا، والإطالة والإطناب في هذه المواضع إيجاز(...) وقيل لقيس بن خارجة (ما عندك من حملات داحس) قال (عندى قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من لدن مطلع الشمس إلى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل، ونهيَ فيها عن التقاطع) فقيل لأبي يعقوب الحزيمي: (هلا اكتفى بقوله أمر فيها بالتواصل) عن قوله: " وانهى عن التقاطع " فقال " أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا تعمل عمل الإطناب والتكثيف) »[1] ويقول الجاحظ في الطريقة التي كان يخاطبُ بها القرآن الكريم العرب وبني إسرائيل : « ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأحزاب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطا، وزاد في الكلام »[2] ويوضح العسكري هذا القول بمثال « فما خاطب به أهل مكة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ ﴾ الحج: 73. وقلّ ما نجد قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم إلا مطولة مشروحة، ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم كان وتأخر معرفتهم »[3] والمقصود من بعد فهمهم ليس لسذاجتهم إنما ذلك لعنادهم وتكبرهم وإنكارهم الحجج، « وروى عن عمر بن يحي أنه قال مع عجبه بالإيجاز: متى كان الإيجاز أبلغ كان الاكثار عيّا ومتى كانت الكتابة في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيرا» [4] ومثل ذلك ما أشار إليه ابن المقفع في الإطالة « أما في الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البيّن فالإكثار في

1_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 143_ 144.
2_ الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 94.
3_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص144.
4_ نفسه، ص 166.

غير خطل والإطالة في غير إملال »[1] وأشار أيضا إلى الفرق بين الخطب من حيث الطول والقصر، وبين خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون كل فن من ذلك يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على مغناك ولا يشير إلى مغزاك، فقيل له فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف، قال : « إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لرضى الحاسد والعدو فإنهما لا يرضيهما شيء، وقال والسنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب، وكما قيل في خطبة النكاح، لم تكن الخطباء تخطب قعودا ألا في خطبة النكاح، حيث كان االخطباء في خطبهم الطوال لا يتمثلون بشيء من الشعر »[2] وهذا يدل عل وجود الإطناب والإطالة في خطبهم واستحسانهم الإطالة التي تجيء بها فائدة للمستمعين منهم، ولهم في ذلك مزية وفائدة عظيمة إلا وأنهم أصحاب البيان والفصاحة ومن أخبارهم في ذلك أنّ يحي بن برمك «أمر اثنين أن يكتبا كتابا في معنى واحد فأطال أحدهما، واختصر الآخر فقال للمختصر: ما أرى موضع زيادة وقال المطيل: ما أرى موضع نقصان »[3] وكان من الشعراء الذين يطيلون وكانوا يحبذون الإطالة في أشعارهم ابن الرومي، قال ابن رشيق: « كان ابن الرومي يقصُّد فيجيد ويطيل فيأتي بكل إحسان وربما تجاوز حتى يسرف »[4] وهو قائل:

وإذا مروٌّ مدحَ امرءًا لنِوالِهِ فَأَطَالَ فيه فَقَد أراد هِجَاءَهُ

لَو لَمْ يَقَدِّرْ فيه بُعْدَ المُسْتَقَى عِنْدِ وروده لمَّا طال رِشَاءُهُ [5]

1_ الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص116.

2_ نفسه، ج1، ص 116.

3_ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمد في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5 لبنان: 1981م، ، دار الجيل، ج1، ص 189.

4_ نفسه، ج1، ص189.

5 _ ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، (د ط)، ، مصر: 1976م، دار الكتب، ج1، ص 111.

فكان من هذا أنَّ « دواعي الإطناب كثيرة منها تثبيت المعنى وتوضيح المراد والتوكيد ورفع الإبهام وإثارة الحمية وغير ذلك »[1] ولقد جمع المراغي المواضع التي يستحسن فيها الإطناب والبسط : ما يكتب به الملوك في جسيمات الأمور، التي يراد تقريرها في نفوس العامة كأخبار الفتوح المتجددة فهذا موضع لا يشبع فيه القول، حتى تعرف الرعية قدر النعمة فتزيد في الطاعة ولا بأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه وعظيم إقدامه، لأن في التصغير أمره تحقيرا لظفر به وهناك فيما يكتبه الولاة ومن في حكمهم إلى الملوك، لإخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه ما يجري على أيديهم من الأمور.

ويكون الإطناب في الموعظة، والإرشاد بالترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية، حتى يرتاح قلب المطيع ويبسط أمله، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ منه كل مأخذ.الخطب في الصلح بين العشائر للإصلاح ذات البيّن، المدح والثناء والهناء، وما يكتب به عن الملوك إلى أهل الثغور في أوقات التحرش بالمملكة وإقدام العدو على الهجوم عليها فيستعدوا للقائه[2]ومن كل هذا فإن للإطناب دورا جد هام في توضيح المعنى وتأكيده لزيادة حضور هذا المعنى في الذهن المتلقي وقد وقف علماء البلاغة أمام بلاغة الإطناب وخلصوا إلى جملة من الأغراض وسنقف بعون الله على أكثرها في المبحث القادم.

1_ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 202.

2_ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ط2،(د ب): 1986م، دار السلام العلمية،200.

المبحث الثالث : أغراض الإطناب وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام.

لقد قسم الإيجاز إلى إيجاز حذف وإيجاز قصر، بينما الإطناب فقد جاء لأغراض بلاغية مختلفة ولأمور كثيرة منها: الإيضاح بعد الإبهام، والإيغال والاحتراس والاعتراض والتذييل والتتميم والتكرير، وذكر العام بعد الخاص، وغير ذلك مما ذكر، وهي الأغراض التي سنحاول رصدها من خلال سورة هود عليه السلام وسكون منهجنا في استخراج هذه الشواهد كما كان عليه في الفصل الأول أي لا نحاول استقصاء جميع الشواهد الموجودة في السورة إنما نستخرج ما يسع المقام ويكفي لتبيان الحال.

1_ الإيضاح بعد الإيهام : هو أن « المتكلم يتكلم بكلام في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية الكلام كقول الشاعر:

يَذْكُرُنِيكِ الخَيرُ والشَّر كله وقِيلَ الخَنَا والعِلمُ والحِلْمُ والجَهْلُ

فإنه لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء فلما قال: فَأَلْقاكَ عَن مَكْرُوهِهَا وألقَاكَ في محبوبها ولكَ الفَضْلُ

فأوضح المعنى المراد ورفع اللبس وأزال الشك وقد يكون الإيضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يقع التعجب منه ويشكل الأمر فيه، ثم يوضح ذلك الإشكال بأن يخبر عنه بما يفهم من كشف اللبس عن الجزء الأول »[1] وقد عرفه القزويني بقوله : « الإطناب إما بالإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل التمكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع لمعرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه الى ما يراد بعد ذلك، فإذا

1 _ ابن إبراهيم العلوي، الطراز، ج3، 102.

ألقي كذلك تمكن فضل التمكن، وكان الشعور به أتم »[1] وهذا وقد أشار إليه المراغي بقوله: « وللإيضاح بعد الإبهام أضرب منها باب نعم وبئس، على قول : من يجعل المخصوص خبر لمبتدأ محذوف، إذ لو أريد الاختصار، لقيل : نعم فلان، وبئس فلان عوضا عن قولك نعم الرجل فلان وبئس الرجل فلان، ووجب حسن إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظرا إلى إطنابه من وجه وإيجازه من وجه آخر، وإيهام الجمع بين المنافيين »[2] ومن أضرب الإيضاح بعد الإبهام هو التوشيع وقد عرفه ابن أبي الاصبع في قوله : « هو عند أهل الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز، ثم يأتي تلوه باسمين مفردين هما عين المثنى، ويكون الأخير منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير ذلك »[3] وهو يكون في الشعر خاصة، ومن أمثلته قول الشاعر:

أُمْسِي وأُصْبِحُ في تِذكَاركُم وصبا يَرِثِي لي المُشفِقَانِ الأَهلُ والوَلَدُ

قَدْ خدّد الدَّمعُ خدّى من تذَكُرِكُم واعْتَادَنِي المُضْنِيَانِ الوُجْدُ والكَمَدُ[4]

وتجلى الإيضاح بعد الإبهام في سورة هود عليه السلام في الآيات الآتية :

أ ـ قَالَ تَعَالَى:﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ هود: 105_108. فجاء الإبهام في قوله تعالى (فمنهم

1_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص196.

2 _ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، 193.

3 _ ابن أبي الاصبع، تحرير التحبير،ج1، ص 316.

4 _ نفسه، ج1، ص 316.

شقي وسعيد) ثم أتى الإيضاح بعد ذلك في الآيات الموالية (فأما الذين شقوا....) و(اما الذين سعدوا...) ويقول كمال باشا: « فمنهم شقي وجبت له النار تفصيل لما فهم من قوله تعالى(لا تكلم نفس إلا بإذنه) بانقسامهم إلى قسمين إجمالا وتقديم الشقي على السعيد لأنه مفهوم أولا من مرتبة الإجمال (...) فأما الذين شقوا فهو تفصيل أحوال الصنفين »[1]

ب_ ومن الإيضاح بعد الإبهام أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ هود:36.فذكر تعالى (أوحي) بشكل مجمل ثم أوضح ذلك (الوحي) وهو (أنه لن يؤمن..) وذلك لتنبيه على أهمية ذلك الأمر وعظمته ومعنى الآية « أن الله أيأسه من إيمانهم وأنه صار من كالمستحيل عقلا بإخباره تعالى (إلا من قد آمن) أي : من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانهم، ونهاه الله عن ابتآسه بما كانوا يفعلون وهو حزنه عليهم في إستكانته »[2] فقد بين تعالى ما قد أوحاه لعبده وقد فصل بعدما اجمل،

ج_ وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود45. فقد قال تعالى: (ونادى نوح ربه) بشكل مجمل ثم فصل (فقال ربي إن بني من أهلي...) قال الزمخشري « نداءه ربه دعاء له وقوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده وتنجية أهله »[3] وهذا بعد تفحصنا لسورة هود لم نعثر على شاهد واحد في باب التوشيع وذلك لا يدل على عدم وجوده في القرآن إنما له شواهد في سور أخر قد استخرجها البلاغيون وذكروا ما فيها من بديع إعجاز.

1_ أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا، تح: حسن ضياء الدين عتر، ط1، لبنان: 1986 دار البشائر الإسلامية، ج2، ص 314_ 315.

2 _ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص212.

3 _ الزمخشري، الكشاف، ج3، ص203_ 204.

2_ الاعتراض : وهو أن يجيء في وسط الكلام أو بين جملتين متصلتين معنى جملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة التنزيه والتعظيم [1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ النحل: 57. فقد اعترضت لفظة (سبحانه) الجملة ذلك لتنزيه الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، قال ابن الأثير « وتقديره يجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين ب_ سبحانه_ وهو مصدر يدل على التنزيه فكأنه قال " ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون»[2] وذكره ابن جني من قبل فقال : « اعلم أن القبيل من هذا العلم الكثير جاء في القرآن الكريم وفصيح الشعر، ومنثور الكلام وهو جار عند العرب مجرى التوكيد، فلذلك لا يشنع عليهم لا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره »[3] وقال الزركشي « وأسماه قدامة " التفاتا " وهو أن يؤت في أثناء الكلام أو الكلامين متصلين معا بشيء يتم الأصل بدونه ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة »[4] وللجملة الاعتراضية أغراض بلاغية عديدة تعرف من خلال السياق وسنذكرها إجمالا وهي كالآتي: التنزيه والتعظيم والتنبيه والمطابقة مع الاستعطاف وزيادة التوكيد، التحسر ومن أمثلة الاعتراض في السورة نجد:

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ

1_ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 192.

2_ ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 173

3_ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمدعلي نجار، (د ط)، لبنان: (د ت)، دار الهدى، ج1 ص388.

4_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 56.

يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ هود: 34_36. لقد جاءت الآية (أم يقولون إفتراه...) معترضة بين الآيتين (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم...) والآية (وأوحي إلى نوح...) والغرض من الاعتراض التنبيه والتذكير للمكذبين بحقيقة الدعوى.

ب_ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: 44. قال الزركشي في هذه الآية: « وقوله (وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي) فهذه جملة معترضة بين(وقيل يا أرض بلعي ماءك) وبين (وقيل بعدا للقوم الظالمين) وفيه اعتراض في اعتراض فإن (قضي الأمر) معترضة بين(وغيض الماء) وبين(واستوت على الجودي) ولا مانع من وقوع اعتراض في اعتراض »[1] ولقد أضاف السيوطي قوله في هذه الآية : « ونكتة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محال ولو أتى آخرًا لكان تأخيره فتوسُطُه أظهر كونه غير متأخر »[2] فالإطناب بالاعتراض كما يبدو من الأمثلة وعلى اختلاف أغراضه لا يكمل المعنى فحسب، وإنما يضفي عليه إظلالا ويمكن إدراك هذه الحقيقة في أي مثال من هذه الأمثلة إذا ما قارنا معناه بالاعتراض ومعناه مجردا منه[3] فكانت الجملة الاعتراضية برغم من أنه يمكن تمام المعنى بدونها إلا أنه لا يمكن التماس نفس السحر البياني من دونها.

1_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج3، ص 62.

2_ جلال الدين السيوطي، معترك الأقران،ج1، ص282.

3_ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، (د ط)، لبنان، 1985م، دار النهضة، ص215.

3_ الاحتراس: الاحتراس في اللغة : مصدر احترس، يقال : احترس منه تحرز، تحرست من فلان واحترست منه أي: تحفظت منه[1] وأما اصطلاحا: فهو « أن يؤتى في الكلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[2] والمقصود « أن يدل هذا الكلام على معنى لا يقصده المتكلم فيأتي بما يزيل هذا الفهم ويبدد هذا الوهم »[3] وقد ذكر هذا اللون من الإطناب القدماء، ومنهم ابن أبي الأصبع فأفرد له بابا وعرفه بقوله : « يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك »[4] وننوه أن الاحتراس هو مرادف التكميل حيث قال فيه الزركشي « هو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك »[5] ومن أمثلة الاحتراس في سورة هود عليه السلام نورد ما يلي :

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾ هود: 11. فجاءت جملة (إلا الذين صبروا) احتراسا من أن يسبق إلى الوهم ما سبق من ثبوت الاتهام السابق في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾ هود: 8 – 10. فجاء الاحتراس مستثنى من الإنسان إذ المراد به الصنف غير الصنف السابق، وهم المؤمنون بالله ولذلك أوثر وصف صبروا دون آمنوا لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله تعالى (إنه ليؤس

1_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حرس).
2_ فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص 495.
3 _ نفسه، 495.
4_ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (د ط)، مصر: (د ت)، نهضة مصر، ج2، ص154.
5_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص64.

كفور) وفيه تنفير من الوقوع بما يماثل صفات الذين كفروا، فصفتا اليأس وكفران النعمة وصفتا الفرح والفخر ليست من صفات الذين صبروا وهم مؤمنون[1] ولقد ورد الاحتراس:

ب_ على لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾ هود: 29. حيث جاءت جملة (إن أجري إلا على الله) احتراسا من أن إلى الوهم أنه يريد أجرا منهم وقال ابن عاشور « احتراس لأنه لما نفى أنه يسألهم مالا توهم أنه لا يسأل جزاءا على الدعوة فجاءت جملة (إن أجري إلا على الله) إحتراسا »[2]

ج_ وكذا قال تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ هود: 44. جاء (بعدا للقوم الظالمين) احتراسا «لأنه سبحانه لما أخذ من هلك من الطوفان، أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم أن جميع من هلك كان مستحقا للهلاك احتراسا من ضعف وهم أنَّ الهلاك بعمومه ربما شمل ملا يستحق العذاب» [3] فجاء الاحتراس ليجزم أن كل من هلك من قوم نوح عليه السلام قد أستحق ما آل إليه.

1_ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 14_ 15.
2_ نفسه، ج12،ص 15.
3_ الزركشي، لبرهان في علوم القرآن، ج3، ص 66.

4_التذييل: التذييل لغة : من ذيل الثوب، إذ اطوّل، وإذا طال[1] وهو في اللغة أيضا جعل الشيء ذيلا لشيء آخر[2] أما في الاصطلاح فقد عرفه العسكري بقوله : « التذييل هو إعادة ألفاظ مترادفة على معنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه وهو ضد الإشارة والتعريض وينبغي أن يستعمل في الموطن الجامعة والمواقف الحافلة لأن تلك المواطن تجمع بطيء الفهم وبعيد الذهن»[3] وقال الباقلاني : « هو ضرب من أضرب التوكيد »[4] وقد قال القزويني :« التذييل : هو تعقيب الجملة بجملة تشمل على معناها للتوكيد »[5] وهو ضربان : ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه ومثال ذلك من السورة :

أ_ قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ هود: 41. جاء التذييل في قوله تعالى (إن ربي لغفور رحيم) وهذه الجملة « تعليل الأمر الركوب المقيد بالملابسة بذكر اسم الله ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعد بنجاتهم وذلك من غفرانه ورحمته وأكد (إن) ولام الابتداء (لغفور) تحقيقا لا تباعه بأنه الله رحمهم بالنجاة من الغرق»[6] فإن الله قد غفر لهم ذنوبهم ورحمهم إذ نجاهم من عقابه.

ب_ وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: 61.

ج_ ومثله قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ هود: 90.

1_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذيل).

2_فضل حسن عباس، اللغة العربية فنونها وأفنانها، ص492.

3 _ أبو هلال العسكري، الصناعتين،ص294.

4 _ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، (د ط) مصر، (د ت)، دار المعارف، ص 102.

5_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 202.

6_ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، 74.

فقد جاء التذييل في أسماء الله وصفاته وذلك تأنيسا للمخاطبين واستمالة لنفوسهم فكان التذييل في جملة(إنّ ربي قريب مجيب) و(إن ربي رحيم ودود) قال ابن عاشور: في بيان هاتين الآيتين:« وجملة (إنّ ربي قريب مجيب) استئناف بياني كأنهم استعظموا أن يكون جرمهم مما لا يقبل الاستغفار عنه فأجيبوا بأن الله (قريب مجيب) »[1] والضرب الثاني: من التذييل الجارى مجرى المثل: وقال القزويني فيه : « هو أما التأكيد منطوق أو التأكيد المفهوم »[2] ومثاله من السورة

أ_ قَالَتَعَالَى:﴿ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ ﴾ هود: 81. فتذييل جاء في قوله تعالى(أليس الصبح بقريب) استئناف بياني صدر من الملائكة جوابا عن سؤال يجيش في نفسه من استبطاء العذاب »[3] وقد يكون التذييل بالمثل أوقع في النفس، وأوضح لها لأن النفوس تطمئن لما قد سبق لأذهانها وكان تمكنه من قبل.

5_ الإيغال: الإيغال في اللغة: من وَغَل يغِلُو وغولا،: ذهب وأبعد في الشيء [4] وجاء في الصناعتين:« الإيغال هو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا »[5] وهو «ضرب من المبالغة إلا أنه في القوافي خاصة خاصة » [6] ويقول القزويني «وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها لزادة المبالغة »[7] »[7] ففي قول الخنساء :

وإنَّ صَخرًا لَتَأتَمُ الهُدَاةُ بِه كأنه عَلَمٌ في رأسهِ نَّارُ

1 _ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ج12، ص 109.
2_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 202.
3_ الطاهر بن عاشور، التحرير التنوير، ج12، ص 133.
4_ الفيروز أبادي قاموس المحيط، مادة(وغل).
5_ أابو هلال العسكري، الصناعتين، ص310.
6 _ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، ص57.
7_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص205.

قال ابن رشيق في هذا البيت « أوغلت إيغالا شديدا بقولها (في رأسه نار) بعد أن جعلته علما وهو الجيل العظيم »[1] فالإيغال إذن هو انتهاء الشاعر من المعنى الذي أراده قبل الإنتهاء القافية فيأتي بالقافية فتفيد معنى جديد فكأنه أبعد في قوله ولم يقف على معناه الذي أراده ولهذا سموه الإيغال، وأنت ترى تعريفه خاص بالشعر ولكن لم لقوما لم يقصروه على الشعر، بل عاما في الكلام كله[2] ومما تراءى لنا في هذه السورة من الإيغال

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ هود: 13. فتمام الكلام كان في جملة (فاتوا بعشر سور مثله) ولو إكتفى بهذه الآية لكفت ولكن قوله هذا « كقول الرجل لمن يجحده: ما يستحق عليّ درهما ولا دانقا ولا حبة، ولا قليلا ولا كثير، ولو قال ما يستحق علي شيء لأغنى في ظاهر عن ذلك، ولكن التفصيل والتنزّل دل على الاحتياط وعلى شدة الاستبصار والإنكار»[3] وجاءت أوجه الإيغال قليلة في السورة خاصة وفي القرآن عامة ذلك أن هذا هذا اللون من الإطناب قد اختص بشعر ومنثور القول أكثر.

6_التتميم: جاء تعريفه في الطراز حيث هو:« تفعيل، من قوله تممه إذا أكمله، وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن تقييد الكلام بفضلة قصد المبالغة أو الإبانة عن احتمال الخطأ أو لتقويم الوزن»[4] وهذا التعريف قد جعل التتميم والاحتراس شيئا واحدا حين جعل التتميم يأتي لصيانة لصيانة المعنى عن الاحتمال الخطأ، لكن التعريف الذي جاء به القزويني قد بين حقيقة التتميم، حيث يقول « هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكنة كالمبالغة مثلا » [5]

1_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، 58.
2 _ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 209.
3_ ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير،ج1، ص 236.
4_ يحي بن حمزة العلوي، الطراز، ج3، ص57.

[1] فالتتميم ليس نفسه الاحتراس فهذا الأخير إنما يؤتى به إذا كان الكلام يوهم غير المقصود أما التتميم فليس كذلك فهو لا يأتي لدفع إيهام في المعنى إنما لزيادة مبالغه ومما اطلعنا عليه من أمثلة لتتميم في سورة هود عليه السلام نجد:

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ هود:6. فجاء موضع التتميم في الآية السابقة (كل في كتاب مبين) « أي كل ما تقدم ذكره مثبت في اللوح المحفوظ لمن ينظر إليه من الملائكة عليهم السلام وهذا يدل على علمه سبحانه وتعالى قال الظبيي في قوله (كل في كتاب مبين) والجملة كتتميم لمعنى وجوب تكفل الرزق كمن أقر الشيء في ذمته » [2] فقد جاءت هذه الجملة (كل في كتاب مبين) لا لدفع الإيهام عن المعنى أنما للمبالغة في علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء. ومن أمثلة التتميم في السورة نجد أيضا:

ب_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾ هود: 7. فكان التتميم في أول الآية (هو الذي خلق السماوات والأرض) « لأن خلق الأرض وما فيها للابتلاء ظاهر أما خلق السماوات فذكر تتميما واستطرادا مع أنها مقر ملائكته وحفظته »[3] فلحاصل أن ابتلاء الناس يكون في الأرض قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥ ﴾ طه: 55. إنّما ذكرت السماوات لبيان عظمة خلق الله ومنته على عباده.

1_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص205.

1_الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ،ج12، ص3.

3 _ نفسه، ج12، ص15.

7_البسط: عرفه السيوطي بقوله: « هو الإطناب الذي يكون بتكثير الجمل » [1] وقال ابن أبي الإصبع : «هو أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكن الدلالة عليه بلفظ قليل، فيدل عليه باللفظ الكثير بحمل معاني أخرى يزيدها الكلام حسنا، ولولا بسط ذلك الكلام بكثرة الألفاظ لم تحصل تلك الزيادة»[2] ومن شواهد هذا النوع من الإطناب في سورة هود عليه السلام نجد:

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ هود: 67. حيث لم يكتف تعالى بقوله (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) حتى أتبعه بنتيجة حاسمة(فأصبحوا في دارهم جاثمين) ذلك لظلمهم وطغيانهم.

ب_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود: 113. « حيث لم يقل الظالمين وعدل عنه إلى قوله (الذين ظلموا) لما يحتمل الأول من استمرار الظلم الذي لا يلائم المساس ولا تكون به المبالغة التي تحصل من اللفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل التقليل ليناسب المعنى، معنى الركون إلى من وقع منه قليل الظلم فنهي عن الركون إلى من استمر منه الظلم من باب أولى وإذا نهي عن الظالم كان النهي عن فعل الظلم أحرى »[3] فدل النهى عن الشيء اليسير عن تهويل الشيء الكبير.

8_ التكرار : إنّ الإطناب بالتكرار من بين أساليب التعبير الواسعة في اللغة العربية وكان تناوله من قبل البلاغين كثيرا، فقد قال الجاحظ : « وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ويؤتى على وصفه، إنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضر من العوام والخواص، ومثل ذلك أن

1 _ جلال الدين السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص252.

2 _ ابن أبي الاصبع تحرير التحبير، ج2، ص544.

3_ محي الدين الدرويش،إعراب القرآن وبيان معانيه، ط4، سوريا: 1994م، دار ابن كثير، ج12، ص444.

الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى، وهود، وهارون، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وعاد، كذلك ذكر الجنة والنار، وغيرها من الأمور لأنه خاطب جميع الأمم »[1] وقال صاحب البرهان في بيان فضل التكرار: « وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، ذلك أن العرب إذ أهمت بشيء إنما إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا »[2] هذا ولقد ذكر له فوائد منها:

*_ التأكيد ولو أن التكرار أبلغ من التوكيد.

*_ زيادة التنبيه ما ينفي التهمة، ليكمُل تلقي الكلام بقبول.

*_ إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له.

*_ وقد يكون لمقام التعظيم والتهويل.

*_ وقد يكون في مقام الوعيد والتهديد.

*_ لتعجب

*_ لتعدد المتعلق .[3] وقد يكون التكرار إما في الحرف أو الكلمة أو الجملة، ومما لمحناه من تكرار في سورة هود عليه السلام الأتي: فمن تكرار الحرف نجد

أ_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ هود: 108. فجاء تكرار حرف الفاء لتأكيد على حقيقة دخول المؤمنين جنة رب العالمين.

1_ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص105.

2 _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3ج، ص9.

3 _ ينظر: نفسه، ج3، ص 11_ 18.

ب_ ومنه أيضا تكرار الأداة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ﴾ هود: 60. فتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للمبالغة في تقطيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم [1]

ج_ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ ﴾ هود: 76. فقد كررت أداة (إن) وجاء في دلائل الإعجاز أن أغلب مواضع تكرارها « هي في الجواب عن السؤال، والسائل له ظن الخلاف، وعقد قلبه على نفي ما تثبت أو اثبات ما نفي »[2] فإبراهيم كان يجادل الملائكة في العذاب الذي بعثهم الله به والذي سيصيب قوم لوط .

ومن تكرير الكلمة نجد:

د_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ ﴾هود: 28_30.« وشَرعَ يكرر (وياقوم) قيل تذكيرا لهم أنه منهم لتعطفهم الأرحام وتردهم القرابات عن حسده واتهامه إلى قبول دعوته »[3] فكان تكراره لهذا اللفظ لتبيان أنه منهم ويصيبه ما يصيبهم.

1_ أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج4، ص 220.

2_عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص325.

3_ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ط1، (د ب): 1976 دار المعارف العثمانية، ج5، ص547.

9_ ذكر العام بعد الخاص: « والغرض من ذلك هو إفادة العموم بعد ذكر الخاص ورفع من شأن الخاص بذكره مرتين مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام»[1] وقد جاء في السورة هذا الغرض مايلي:

أ_ قَالَ تَعَالَى:﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ هود: 3. فالتوبة أشمل من الاستغفار وإن التوبة هي الإقلاع عن الذنب مع تصحيح العزم على عدم العودة إليه وندم على ما كان والاستغفار وندم على ذنب مصى فتوبة أعم من الاستغفار ومثل هذا قوله تَعَالَى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ هود: 61.

ب_ قَالَ تَعَالَى:﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ هود: 85. « يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال والميزان الأمر بالمكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد تخصيص كما في قوله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) فإن العثَّ يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد »[2] فكان النهي عن النقص في المكيال داخلا في النهي عن بخس الناس أشياءهم.

فهذه معظم الإغراض التي يأتي لأجلها الإطناب وكانت سورة هود عليه السلام ثرية بها خاصة ما تعلق بغرض التكرار، ولكن تبقى أغراض أخرى لم نذكرها يستدعيها السياق، ولقد أعطت هذه الألوان من الإطناب سرا بلاغيا وسحرا بيانيا في كل موضع تجلت فيه وهذا مالمسناه في كل الأمثلة التي عالجناها في هذا المبحث.

1 _ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 208.

2_ برهان الدين بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج5، ص547.

يعد الإطناب من بين الأساليب البلاغية المثمرة وهو قسيم الإيجاز، ففيه تتجلى أنواع من بديع الكلام وبه تتوكد المعاني وتزداد وضوحا وبه ينجلى اللبس، وقد اعتنى به علماء البلاغة كثيرا قدماؤهم ومحدثوهم لما له من أسرار لا تكون إلا به، ولقد تعددت الأغراض التي يأتي لأجلها فكل نوع من أنواعه يؤدي غرضا معينا وهذا ما قد تبيناه من خلال دراستنا لسورة هود عليه السلام.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد وصلنا بعون الله تعالى وفضله إلى خاتمة بحثنا والتي سنجمل فيها أهم النتائج المتوصل إليها والتي قد استنتجناها من خلال خوضنا في مجال الإيجاز والإطناب في القرآن الكريم وهذه النتائج سنعرضها كالآتي :

1_ إنَّ علوم العربية عامة والبلاغة خاصة هي من أشرف العلوم وأسماها ذلك لما تتيحه من فهم صحيح لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وبها يعرف الكلام الجيد من رديئه، لذا يشترط أن يكون المفسر للقرآن الكريم على دراية واسعة بعلوم هاته اللغة ومعرفة بخباياها.

2_ هناك تعارض بين مفهومي الإيجاز والإطناب فالأول هو الوصول إلى المعنى بِأوجز العبارات وأقلها دون أن يخل ذلك الإقلال بالمعنى أو التركيب ويكون على قسمين، قسم يدعى الإيجاز بالحذف والآخر إيجاز بالقصر بينما الإطناب عكس ذلك حيث يوصل به إلى المعنى بأكثر الألفاظ والعبارات ولا يعني ذلك أن هذه الكثرة خالية من فائدة إنما وجودها يضفي على الكلام سحرا وبيانا لا يكون إلا به وله أغراض كثيرة تعرف من خلال السياق.

3_ هناك من البلاغيين مثل القزويني وابن الأثير وغيرهم من قد جعل بين الإيجاز والإطناب واسطة تسمى بالمساواة وهذه الواسطة تعني أن تكون الألفاظ قدر المعاني دون زيادة ولا نقصان وهي عندهم ليست بمذمومة ولا محمودة.

4_ إنما يؤتى بالإيجاز والإطناب على حسب المخاطبين ولكل موضعه في الكلام إذ لا يمكن لأحدهما أن يسُّد موضع الآخر، فالإيجاز يكون في مواضع منها مخاطبة الخاصة وذوي العقول الراجحة والذين يكتفون بيسير القول وفي المواعظ والوصايا التي يراد حفظها ونقلها، وفي الاستعطاف والاعتذار والشكوى، أما الإطناب فيكون لمخاطبة الخاصة والعامة ويكون في مواطن تثبيت المعنى وتوضيح المراد والتوكيد ودفع إيهام وغير ذلك.

5 _ لا يكمن الجزم بأن الإيجاز أفضل من الإطناب، أو أنّ الإيجاز أكثر ورودا من الإطناب في القرآن الكريم لأن كليهما موجود في كتاب الله عز وجل، ولكل منهما سر بلاغي ومظهر جمالي يتجلى فيه، ولكل فن منهما مواضع لا يصلح فيها الفن الآخر.

6_ تنوعت مظاهر إيجاز الحذف في سورة هود عليه السلام بين حذف الحرف وحذف الكلمة وحذف الجملة ولكن أكثر ما لمسناه من أنواع الحذف كان في حذف الكلمة، ركنا في الكلام كانت مثل الفعل والفاعل والمبتدأ أو فضلة مثل المفعول به والصفة والمضاف إليه وغيرها.

7_ يعد إيجاز القصر أدق مسلكا وأرفع شأنا عند علماء البلاغة من إيجاز الحذف ذلك لأنه يستنبط من خلال الكلام وأساليب العربية، بينما إيجاز الحذف استخراجه يتم بدلالة فحوى الكلام على المحذوف.

8_ بين الإطناب والتكرار فرق بيَّن، فالتكرار إذا جاء لفائدة فهو من بين الأغراض البلاغية للإطناب وأن عدم فائدة فهو عيّ وحشو في الكلام.

9_ إن أكثر المواضع التي يتواجد فيها الإطناب هي مواطن القصص في القرآن الكريم وهذا ما لمسناه من خلال مدونتنا والسر في ذلك أن الله عز وجل ما أطنب فيها إلا لتكون واضحة جلية

يتعظ بها جميع الناس عالمهم وجاهلهم، وملاحظ في أن هذه القصص كرّرت عدت مرات لكن لم تخلو في كل مرة من فائدة جليلة وذلك بإضافة عبارات أو كلمات جديدة تضفي على النص سحرا بيانيا لم يكن موجودا في سابقتها.

10_ التوشيع وهو أحد الأغراض البلاغية للإطناب لم نعثر له على مثال في سورة هود عليه السلام ذلك لاختصاصه بشعر والكلام المنثور هذا لا يدل على عدم وروده في القرآن الكريم إنما له أمثلة في غير هذه السورة أوردها علماء البلاغة وبينوا أسرارها.

إن هذه الدراسة المتواضعة والتي شملت جانبا من جوانب الإعجاز القرآن وتناولنا فيها أسلوبين من أساليب البلاغة لنرجو أن تكون قد استوفت ولو بجزءٍ قليل مما كان مسطرا لها.

والحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله الكرام الطيبين الشرفا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. ابن أبي الاصبع المصري، تحرير التحبير، تح: حفي محمد شرف، (د ط)،مصر:(د ت)، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
2. ابن أبي الاصبع، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (د ط)، مصر:(د ت)، نهضة مصر.
3. أبو البقاء العبكري ، شر: ديوان المتنبي، ط11، لبنان: 1971م، دار المعرفة.
4. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون (د ط) مصر: 1979م ، دار الفكر.
5. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف زغلول، ط2 مصر:(د ت)، دار المعارف.
6. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم،(د ط)، لبنان: (د ت)، دار إحياء التراث العربي.
7. أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،(د ط)، مصر:(د ت) دار النهضة مصر
8. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمدعلي نجار، (د ط)، لبنان: (د ت)، دار الهدى.
9. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ط2، المملكة العربية السعودية: 1998، دار طيبة لنشر والتوزيع.

10. أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العباد(د ط) دبي:1991م، مطبعة البولاق.

11. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب(د ط) لبنان: (د ت)، دار صادر.

12. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح:عبد الرحيم محمود(د ط)، لبنان: 1979م، دار المعرفة.

13. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: أحمد عبد الموجود، ط1، المملكة العربية السعودية:1998م، مكتبة العبيكان.

14. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح:عبد السلام هارون، ط1، مصر : 1988م مكتبة الخانجي.

15. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط3، المدينة المنورة: 1997م مكتبة العلوم والحكم.

16. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز تح: محمود محمد شاكر، ط5، مصر: 2004م ، مكتبة الخانجي.

17. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني إعجاز القرآن، ط5، مصر:1971م، دار المعارف.

18. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، ط1، مصر: 2001م، دار هجر.

19. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: احمد عادل عبد الموجود ط1 لبنان: 1993م، دار الكتب العلمية.

20. أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري،(د ط)، لبنان: (د ت)، دار صادر.

21. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح:عبد الحميد الهنداوي، ط1 لبنان:2003م، دار الكتب العلمية.

22. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، لبنان: 2006، مؤسسة الرسالة.

23. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح:عبد السلام هارون، ط7 مصر:1998م، مكتبة الخانجي.

24. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، مصر: 1966م مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده.

25. أبو منصور الثعالبي الاعجاز والإيجاز ، تح : محمد النونجي، ط1(د ب): 1992م، دار النفائس.

26. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، ط1،(د ب):(د ت)، مطبعة محمود بك.

27. أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح :عبد الحميد الهنداوي،ط1 لبنان:2000م، دار الكتب العلمية.

28. أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا، تح: حسن ضياء الدين عتر، ط1، لبنان: 1986، دار البشائر الإسلامية.

29. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ط2، لبنان: 1986م، دار الكتب العلمية.

30. الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (د ط)، لبنان: (د ت)، دار إحياء التراث العربي.

31. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ط1 (د ب): 1976، دار المعارف العثمانية.

32. بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ط20، مصر: (د ت) دار التراث.

33. بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ط1، الأردن:1993م، دار الفكر.

34. تقي الدين ابو علي الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب،(د ط)، لبنان: (د ت)، دار القاموس.

35. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، سوريا: 2008، مؤسسة الرسالة.

36. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن،تح: محمد البجاوي،(د ط) لبنان:(د ت) دار الفكر العربي.

37. خضر عبد السلام حسن أبو طالب، من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن، ط1 (د ب) : 1993م دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

38. الخطيب جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ط2، لبنان: (د ت)، دار الفكر العربي.

39. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط1، مصر: 1999م، المكتبة المصرية.

40. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، (د ط)، لبنان: 1985م، دار النهضة.

41. عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير في القرآن الكريم وسيماته البلاغية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه النقد والبلاغة، 1989م.

42. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، مصر: 2006م، العاتك لصناعة الكتب.

43. فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وافنانها، ط2، الأردن: 1997م، دار الفرقان.

44. مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز ابادي، قاموس المحيط، (د ط)، مصر: 2008م دار الحديث.

45. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط2، ايران: (د ت)، انتشارات ناصر نسروا.

46. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (د ط)، تونس: 1984، السداد التونسية.

47. محمد عبد الله بن سعيد بن سينان الخفاجي، سر الفصاحة، ط1، لبنان: 1982م، دار الكتب العلمية.

48. مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، (د ط)، مصر: (د ت)، دار المعرفة الجامعية.

49. يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، لبنان: 2002م، المكتبة العصرية.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة : ..... **هـ**

تمهيد: 12

الفصل الأول : بلاغة الإيجاز في سورة هود عليه السلام 16

المبحث الأول : تعريف الايجاز لغة واصطلاحا 17

أولا: تعريف الايجاز لغة 17

ثانيا: تعريف الإيجاز اصطلاحا 18

المبحث الثاني:الأغراض البلاغية الإيجاز وموقعه في علم المعاني..... 21

المبحث الثالث:أساليب الإيجاز وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام 26

أولا : إيجاز الحذف 26

الفصل الثاني: بلاغة الإطناب في سورة هود عليه السلام 47

المبحث الأول: تعريف الإطناب وأقسامه 48

أولا: تعريف الإطناب 48

1_ لغة: 48

2_ اصطلاحا : 49

ثانيا: أقسام الإطناب 51

المبحث الثاني: مواضع الإطناب ومكانته البلاغية : 57

المبحث الثالث : أغراض الإطناب وأسراره البلاغية في سورة هود عليه السلام..... 61

1_ الإيضاح بعد الإبهام: 61

2_ الاعتراض : 64

3_ الاحتراس: 66

4_التذييل: 68

5_ الإيغال: 69

6_التتميم: 70

7_البسط: 72

8_ التكرار : 72

9_ ذكر العام بعد الخاص: 75

خاتمة: 78

قائمة المصادر والمراجع 82

فهرس الموضوعات 88